الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة المسيلة
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

العنوان:

دلائل النزعة الوحدوية في اللهب المقدس ـ لمفدي زكريا ـ

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر

فرع: أدب عربي

تخصص: أدب جزائري

إعداد الطالبة:

* بركاتي سمية

إشراف الأستاذ :

* الدكتور. عقاب بلخير

السنة الجامعية :2012 / 2013 م

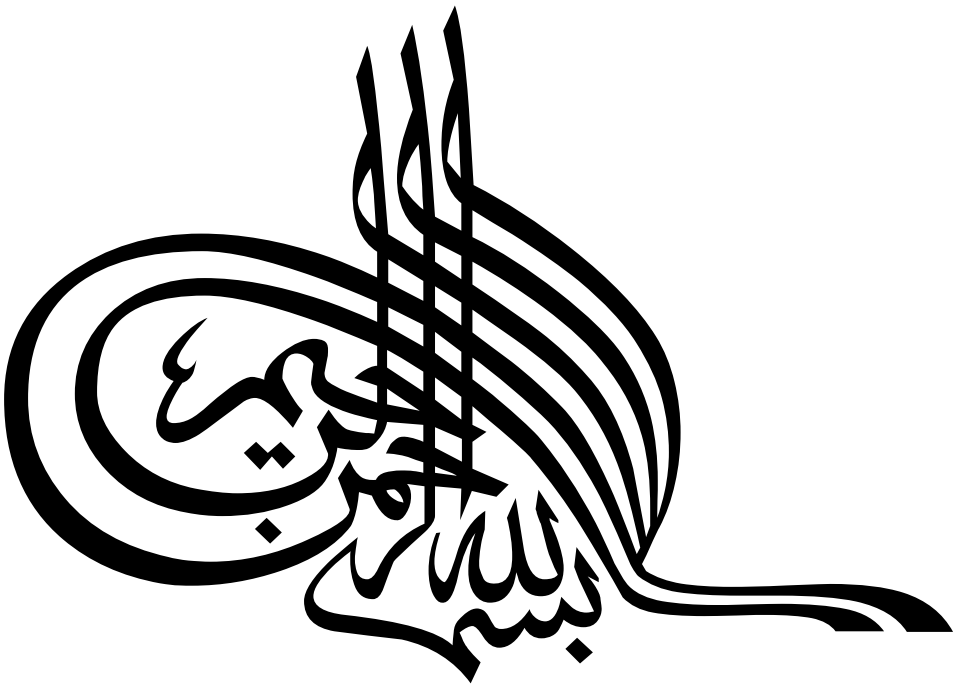
بسم الله الرحمن الرحيم

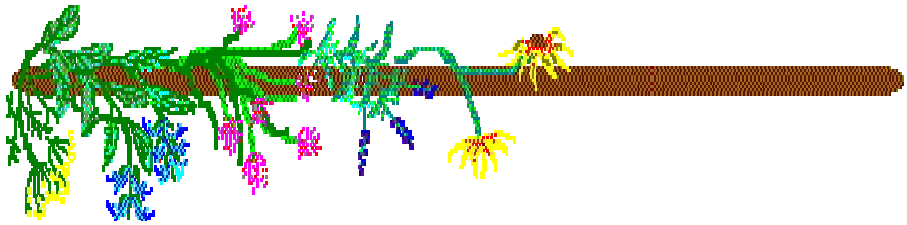

شكر وتقدير

الحمد لله الذي أهداني القوة وطول الصبر لإنهاء هذا العمل المتواضع.

وإذا كان هناك من كلمة شكر أسوقها بين يدي البحث فهي الإقرار بالفضل لذويه فلكل من أعان بمشورة أو سدد رأيا أو أسهم بأية مساعدة أتقدم لهم بكل الشكر وعميق التقدير

كما أقدم بفائق الشكر والتقدير للدكتور المشرف « عقاب بلخير » الذي كان خير مشرف و أساس عملي المتواضع. وشكر خاص لكل أساتذة جامعة المسيلة خاصة كلية الآداب واللغات فيكم نقول:

منكم سقينا بماء الأمل

ومنكم ورثنا حب العمل

ومنكم حملنا خير القيم

وإليكم نهدي هذا العمل

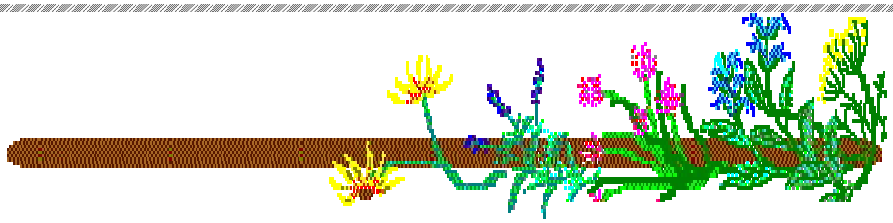

إهداء

أهدي هذا العمل المتواضع خطوة مباركة إلى أغلى ما في الوجود وأغلى هبة من الخالق المعبود إلى من غمرتنى بحنانها وأنارت لي دربي

أمي ...أمي...أمي حفظها الله إلى من ربانى على الفضيلة والأخلاق وشملني بالعطف والحنان والذي أحبه كثيرا أبي العزيز .....أطال الله في عمره

إلى أخي الوحيد العزيز علي وإلى إخوتي فطيمة،زهيرة ،خيرة ،أشواق ،فرح ،عبير ،جهينة سميحة وزوجها وأولادها هبة ومحمد أخي الثاني عامر وإلى جميع الأقارب من قريب وبعيد ....

إلى عقد الؤلؤ صديقاتي نور الهدى بوزيان ،هجيرة بلبول، صباح بوفاتح، أمال زيتوني

وإلى جميع أساتذتي ومعلمي من الطور الابتدائي إلى الطور الجامعي عرفانا وشكرا إلى كل من كان له فضل علم علي

إلي كل السائرين على طريق الهدى والحق .....

إلي كل من يعرف سارة ....أهدي ثمرة جهدي

سارة

مقدمة

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ,سيدنا محمد وعلى آله وصحبه الأبرار ومن سار على دربهم إلى يوم الدين وبعد:

يعد التاريخ عماد الأمة والذي تقوم عليه كينونة الأمة، فالأمة التي عدمت تاريخها عدمت بالضرورة وجودها وهويتها، وكذلك مستقبلها وحاضرها، والتاريخ لا يصنع نفسه بل يساهم في صنعه أدباء يقدمون أعمالهم الأدبية والفنية.

ولعل الشعر من أهم الأعمال الفنية التي أسهمت في صنع التاريخ وتمجيد البطولات وترسيخها في أذهان الأجيال، وذلك بطريقة إبداعية لا تخلو من المتعة وإثارة الأحاسيس، ولعل الكثيرين من أبناء البشرية يعرف أن لمفدي زكريا أفضال كبيرة في إعادة هذا التاريخ بطريقة إبداعية ومن أهم هذه الأحداث التي صنعت التاريخ الثورة التحريرية الكبرى.

فمفدي زكريا حمل هم الثورة على عاتقه، فما انفك يجاهد بقلمه وحبره فجسد الثورة في موسيقاه الرنانة التي تباينت أحرفها بين أحرف همس، وأحرف جهر أجهرت بالثورة، ورفعت صوتها إلى السماء فكانت كلماته نار وثورة تحرق المعتدي، وتلهب الحماسة والحمية في نفوس الجزائريين، فأخذت بذلك ثورة الشعر مكانة بين ثورة السلاح وثورة السياسة ونجد كل هذا في ديوانهً "اللهب المقدس" والذي هو محور بحثنا، ويضم الديوان توجهات الشاعر وموقفه اتجاه القضية الجزائرية التي طالما دافع عنها.

فضم أناشيد خالدة كتبها مناضلا من أجل وحدة وطنية ومغاربية وعربية موحدة فيما بينها، حتى وهو في السجون.

فالشعر هو مرآة تعكس تاريخ ثورة مجدها الكثيرون وشاهد حقيقي على معايشة الشاعر لأحداثها وتصويرها كما رآها بعينه.

ومما دفعني لكتابة هذا الموضوع لما وجدته في هذه الدراسة من جدة وإبداع بالإضافة إلى رغبتي الداخلية وميلي الخاص نحو الشعر كل ذالك دفعني لهذا الاتجاه

وهذا ما جعلني أطرح الإشكالية التالية هل استطاع مفدي زكريا أن يعبر عن توجهه السياسي والنضالي في شعره؟ والى أي مدى وفق في تجسيده نزعته الوحدوية في ديوانه اللهب المقدس؟

واعتمدت في دراستي هذه على المنهج الوصفي التحليلي الذي ساعدني على معرفة البواعث والنوايا لهذه الظاهرة واستدعت طبيعة الموضوع وغايته أن تتوزع مباحثه على مباحثه على مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة.

فتناولت في المقدمة ما يمكن عده إضاءة حول توجه الشاعر الذي يعينني على تتبع خط سير الموضوع وعن سبب اختيار ي له ومنهج دراسته.

أما الفصل التمهيدي فيعد مدخلا تناولت فيه نبذة عن الشعر النضالي ثم كانت نبذة عن حياة الشاعر، أما الفصل الأول فكان بعنوان إسهامات مفدي زكريا السياسية والأدبية وكان في ثلاثة مباحث، أما الفصل الثاني وكان عنوانه النزعة الوحدوية في ديوان اللهب المقدس وهو في ثلاثة مباحث تناولت فيه الوحدة الوطنية والوحدة المغاربية والوحدة العربية من خلال ديوان اللهب المقدس ثم جاءت الخاتمة كحوصلة على النتائج المتوصل إليها.

وككل دراسة لا تخلوا من المصاعب والعراقيل فقد اعترضتني مشكلة قلة النماذج التي تعنى بدراسة الشعر الثوري ومدلولاته في ديوانه اللهب المقدس في ظل غزارة الإنتاج الأدبي للشاعر.

وعلى الرغم من ذلك حاولت الإلمام بجميع جوانب الموضوع ليكون البحث ذو قيمة علمية واعتمدت في هذا على مجموعة من المراجع أهمها دراسة تحت عنوان شعر مفدي زكريا دراسة وتقويم للأستاذ حواس بري وأيضا دراسة للدكتور محمد ناصر بعنوان مفدي زكريا شاعر النضال والثورة.

وفي الأخير أتقدم بالشكر الجزيل إلى من قدم لي يد العون والمساعدة من قريب أو من بعيد خاصة الأستاذ المشرف الذي لم يبخل علي بنصائحه وتوجيهاته وأخص لجنة المناقشة الذين تكرموا بقبول مناقشة رسالتي.

لقد بذلت من الجهد أقصاه، فإن أصبت فهذا توفيق من الله وان أخطأت فمن نفسي ومن الشيطان، وحسبي أنني لم أقصد ذلك.

الفصل التمهيدي

1- لمحة عن شعر الإصلاح والنضال والثورة

2- نبذة عن حياة الشاعر

1/لمحة عن شعر الإصلاح و النضال و الثورة:

"تعد أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين بداية الانتعاش الفكري والأدبي مع مناخ سياسي فكري جديد خاصة مع نهاية الحرب العالمية الثانية، حيث أصبحت الجزائر أكثر انفتاحا على العالم الخارجي على الصعيد العربي والإسلامي والأوروبي أسهمت في ذلك العديد من العوامل، فقد تنامى الحس الوطني بين الجزائريين وكما توطدت العلاقات مع الشرق والغرب بفضل روافد مختلفة كالصحافة والجنود و المهاجرين.

كما غذت هذا الحس الوطني ببعده القومي الواضح سياسة الغرب في الهيمنة على العالم الإسلامي ومنه الوطن العربي فكان من مظاهر ذلك مثلا إنهاء (الخلافة العثمانية) في (1924) والتنافس الأوروبي في فضاءات النفوذ وأقسام المواقع في الوطن العربي".[1]

ومع حرص فرنسا على الاستئثار بالمغرب العربي شددت الحصار على الجزائر فكان التجنيد الإجباري عام (912) على الجزائريين الذين كانوا وقودها في الحرب العالمية الثانية، واستفزازهم بإعلانها الاحتفال بمرور قرن على احتلالها الجزائر كل هذا غذى الحس الوطني لدى الجزائريين فاتسعت حركة اليقظة الوطنية بفعل هذا المناخ مع مطلع العشرينات, هذا ما أشعل فتيل الصراع الفكري، فكر عربي إسلامي جزائري وفكر طرفي موالي للسياسة الاستعمارية.

"في هذا الظرف كان لمثل (نادي الترقي) الذي تأسس بالعاصمة الجزائرية (سنة 1927) دور بارز في الحركة الثقافية عموما والحركة الإصلاحية خصوصا وقد قام

[1] ــ الدكتور عمر بن قينة، في الأدب الجزائري الحديث تاريخا وأنواعا و قضايا وأعلاما، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،1995 ، ص59 .

هذا النادي نفسه بمهمة جليلة في إشاعة الحرف العربي، دروسا ووعظا وخطابة من أجل التمكين للحس الوطني".[1]

وفي ظل هذا الجو كانت جمعية العلماء المسلمين بفكرها الإصلاحي التي أسسها ابن باديس والعقبى والإبراهيمي فكانت الحركة الإصلاحية بداية من قسنطينة في محاولة لإحياء الوطنية والدين.

"وأصبح الشعب يتخذ من كل حجر وسيلة لبناء مدارسه ومساجده وأنديته، ومن كل حطب عصي في وجه الاستعمار". [2]

ثم كان المؤتمر الإسلامي الجزائري في 7 جوان 1936 م الذي جمع مختلف الاتجاهات ودعا إلى الوحدة الوطنية ومن أجل هذا اتجه و فد ضم العديد من أسماء الشخصيات والقيادات أمثال ابن جلول وابن باديس إلى باريس حاملين مطالب سياسية وثقافية، إلا أن فرنسا خيبت مساعي الوفد الأمر الذي شحن الجزائريين فانفجروا غاضبين فكانت مظاهرات 08 ماي1945 م التي حصدت العديد من الشهداء والكثير من المساجين. من هنا كان لابد من ثورة تعيد الاستقلال للجزائر.

"وبعد نكبة 1945 حدث تحول ملحوظ في الحركة الوطنية الجزائرية فازداد الوعي الثوري والالتفاف حول القضايا الوطنية. ونخص منها بالذكر قضية استقلال الجزائر وكان الشعر خير مبشر بالثورة ويمكن أن نلمس ذلك من خلال تلك القصائد السياسية الداعية للثورة لانتزاع الحرية بقوة السلاح وهكذا لم يعد هناك شك في أن الشعر عاش الثورة مخاضا."[3]

---

[1] – د.عمر بن قينة، في الأدب الجزائري الحديث، ص60.

[2] – المرجع نفسه، ص61 .

[3] – الوناس شعباني، تطور الشعر الجزائري منذ سنة 1945 حتى سنة 1980 ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ص79.

"وهكذا فإن الحركة الأدبية ذات صلة وثيقة بالوضع الوطني والاجتماعي، فقد كان الأديب دائما ضمير الأمة، وصدى همومها وآمالها، ولسانها المعبر عن معاناتها وطموحها يرصد جوانب الخير والشر فيها، فيبارك تلك عموما ويعرض بهذه ويدينها غالبا، مبشرا بمثل العمل والمحبة والوفاء، داعيا إلى سعادة الإنسان وصون كرامته وكرامة وطنه، معلنا عداءه لكل أشكال الظلم والقهر وكل أساليب المصادرة التي تتعرض لها حرية الأفراد والأوطان".[1]

ففي هذه الفترة عرف فيها الشعر منحى وطنيا ناضجا فشاع الشعر السياسي والقومي والرمزي بالإضافة إلى العديد من الأشكال كالقصة والمسرحية وغيرها.

فظهرت العديد من الشخصيات أمثال ابراهيم أبو اليقظان الذي كان رئيسا لأول بعثة علمية جزائرية إلى تونس والذي اصدر العديد من الجرائد كما كان له العديد من المؤلفات التي منها ديوانه.

و"هكذا تظل هموم (الجزائر) والوطن العربي والعالم الإسلامي عبر مختلف أقسام الديوان في جزأيه ،هموم معاناة (الجزائر) الاحتلال أولا، والمؤامرات والدسائس ثانيا مثل هموم العالم الإسلامي كما، يطل نضال (الجزائر) وجهادها في ثورة (نوفمبر 1954) وانتصارها في (1962) فرأى في ذلك انتصار للوطن العربي، ومنه المغرب العربي...)"[2]

"فأبوا اليقظان في قصيدته الإخوانية طعمها بالحس الوطني الثوري فربط الهم الوطني بالهم الشخصي لدى الأدباء

فيقول :

يا بلبل الصحراء مالك واجما أو لست تسكن في ربا الصحراء

فصل الربيع لقد تفتح زهوه وعبيره، قد فاح في الفيحاء

[1] – د. عمر بن قينة، في الأدب الجزائري الحديث تاريخا وأنواعا وقضايا وأعلاما ، ص62.

[2] – المرجع نفسه، ص63 .

واليوم أعلام الهلال ترفرفت رغم الأنوف بكوكب الجوزاء

هيا بنا يا عندليب لنسمعن صوت العروبة من ربى الصحراء

وتعال نرفع للجزائر ذكرها ولواءها ورسالة الشعراء"[1]

بالإضافة إلى أبو اليقضان هناك شخصية أخرى هي محمد العيد آل خليفة الذي ظهر في هذه الفترة قبل قيام الثورة 1954 فكان شاعر الشباب وشاعر المغرب العربي، فمحمد العيد آل خليفة واكب مرحلة النهوض السياسي والفكري والإصلاحي فهو من شعراء القرن العشرين تميز شعره بوفرة تعددت فيه المواضيع والقضايا فدعا من خلال شعره إلى القومية والانتماء العربي الذي هو جزء من الانتماء القومي.

"فنجده حين يتحدث عن بلده (الجزائر) يربط ذلك بمحيطها العربي والإسلامي خاصة في المناسبات الكبرى فيقول عنها:

بين المشارق و المغارب إخوة

لك عصبة بقلوبهم و الأذرع

مدوا إليك بها حبال إخائهم

فصلي حبال إخائهم لا تقطعي" [2]

"كما انه أفصح عن قلق الشعب و عذابه إذ يقول :

يا فؤادا به احترق

لاعج إنهم فاحترق

ما عسى ينفع الأسى

أمة شملها افترق

من لحيران في الدجى

مسّه الضّر والأرق

[1] – د.عمر بن قينة، في الأدب الجزائري الحديث ،ص64.

[2] –المرجع نفسه، ص65.

يخبط الليل ساريا

متعبا عمه العرق

كلما شام بارقا

خاله بالمنى برق

ويحه ضاع كلّ ما

في الوغى من دم هرق

وهي قصيدة بعنوان" كيف يرجو الهدوء" تعبر بصدق عن شعور الشعب قبل الثورة"[1].

فمحمد العيد آل خليفة غرد طويلا للجزائر والوطن العربي والإسلامي، فكان واحدا من شعراء الثورة المسلحة التي عبر عن كثير من جوانبها. وهي الثورة التي واكبها الشعراء وتغنوا بها وببطولاتها، فقدسوا شهر نوفمبر الذي ألهمهم في أغلب أشعارهم الثورية.

"وسر تقديس الشعراء لنوفمبر يكمن في هذه المعاني الثورية التي تصيب الإنسان بالانبهار كلما ذكر اسم *نوفمبر* وإلى صور البطولة والفداء التي تبادر إلى الذهن كلما جرى له ذكر على لسان... إن سر التقديس يكمن في هذه الدقيقة الخالدة التي اختارها القدر لتكون ميلادا لهذه الثورة العملاقة التي تقلبت في رحم الزمان طويلا."[2]

ومن الشخصيات أيضا التي استطاعت أن تخلد نفسها بنفسها ونقشت اسمها بحروف من ذهب، هذه العبقريات التي شربت من كأس الحياة وتذوقت من آهات شعوبها وأوجاعها، ومن بين هؤلاء عبقرية مفدي زكريا الشاعر الذي قضى حياته كالشمعة تنير لغيرها وتحترق هي بالنار.

[1] – عبد الله الركيبي، دراسات في الشعر العربي الجزائري الحديث، تقديم صالح جودت، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2009، ص136.

[2] – الوناس شعباني، تطور الشعر الجزائري منذ سنة 1945 حتى سنة 1980، ص80-81.

فقد نشأ هذا الشاعر في زمن كانت فيه بلاد الجزائر والمغرب وتونس تعاني مرارة الاحتلال الذي أنهك مقوماتها، وشعب يفنى في ظل الغطرسة والاستبداد داعيا إلى الحرية. وأمام كل هذا وقف مفدي وقفة الرافض للاحتلال الغاشم، متمردا على رموزه وأدواته داعيا إلى مقاومته بكل الأشكال.

"ولقد ترجم لنا الشاعر مفدي زكريا هذا التحرر والرفض في لوحات شعرية رائعة فكان الحس الثوري والقومي متميزا فيها وهذا لارتباطها بالثورة التحريرية التي سماها مفدي زكريا ليلة القدر الكبرى فكان لكل رجل ولكل امرأة ولكل ولد حظه من الجهاد ومن البديهي أن يتحدث شعراءنا عن هذه الليلة المشهودة المنذرة بزوال الاستعمار على الدوام".[1] ولهذا وجب علينا تقديم ولو لمحة خاطفة عن حياة مفدي زكريا التي كانت كعمر الزهور فمن هو مفدي زكريا؟ وكيف كانت أهم محطات حياته؟

2/نبذة عن حياة الشاعر

2ـ1 /مولده و نشأته :

هو" مفدي زكريا بن سليمان الشيخ صالح، ولد سنة 1908 م في واحة بني ميزاب بقرية (بني يزقن) جنوب الجزائر، وكان جده الشيخ صالح بن يحيى تربطه بالسلطة العثمانية معاهدة حماية ظلت سارية المفعول طوال عهد الاحتلال الفرنسي للجزائر حتى سنة 1880م... وتنحدر أسرته من بني رستم الذين أسسوا مدينة تيهرت في القرن الثاني من الهجرة وتعرف الآن بمدينة تيارت – غرب الجزائر ودولة بني رستم هي أول دولة جزائرية ذات سيادة كاملة غير مرتبطة بتبعية لا إلى الحفصيين

[1] – محمد الطمار، تاريخ الأدب الجزائري، تقديم أ.د عبد الجليل مرتاض, ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،2006 ،ص438 .

ولا إلى بني زيان، دامت زهاء قرنين وتحقق على عهدها لأول مرة في التاريخ توحيد المغرب العربي الكبير"[1].

"ففي حضن هذه العائلة الماجدة ولد زكرياء".[2]

و يمكن تقسيم حياة الشاعر مفدي زكريا إلى ستة مراحل :

"**المرحلة الأولى:** وتمتد هذه المرحلة من سنة ولادته 1908 إلى سنة سفره إلى تونس سنة 1922 وتتميز بحفظه للقرآن... ورحيله إلى مدينة عنابة رفقة والده".[3]

"ولم تنتظم دراسته في هذه المرحلة لأنه كان يتردد بين عنابة وبين مسقط رأسه واستمرت حاله على ذلك إلى أن تخلى والده عن تجارته."[4]

"**المرحلة الثانية:** وتمتد من سفره إلى تونس إلى عودته منها وبالتحديد من سنة 1922 إلى سنة 1926 وتتميز بتلمذته النجيبة على مجموعة من الفقهاء والأدباء"[5]. "ودرس على يد الشيوخ محمد الثميني وأبي اليقظان وإبراهيم بن الحاج عيسى والشيخ صالح بن يحي والشيخ ابراهيم اطفيش وقد كانت هذه السنوات بين 1922 و 1962 التي قضاها في تونس هي التي كونته". [6]

وقد تجمع على هذا التكوين ثلاثة عوامل من نبوغه وهي على التوالي:

"**العامل الأول:** هو جو البعثة التي كان فيها مفدي زكريا، وتتمثل في تلك النشأة العربية الإسلامية الأصيلة التي نشأ فيها، وقد تركت في نفسه أبعد الآثار، وجعلت في أعماقه حب الإسلام والعربية والوطن وكره كل من يحاول المس بهذه المقدسات أيا كان، لا سيما وأن أولئك المشايخ كانوا يقدمون النموذج العملي لتلاميذهم، فقد كانوا جميعهم

---

[1] – حواس بري، شعر مفدي زكريا دراسة وتقويم، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ،1994 ،ص27.

[2] – د. محمد ناصر، مفدي زكريا شاعر النضال والثورة، جمعية التراث، غرداية، ط2 ،ص08.

[3] – بلحيا الطاهر، تأملات في إلياذة الجزائر لمفدي زكريا، المؤسسة الوطنية للكتاب، ص40.

[4] – محمد ناصر, مفدي زكريا شاعر النضال والثورة، ص08.

[5] – بلحيا الطاهر ,تأملات في الياذة الجزائر لمفدي زكريا، ص40.

[6] – د . أحمد شرفي الرفاعي ، الشعر الوطني الجزائري من سنة 1925 إلى سنة 1954، دار الهدى، الجزائر،2010، ص289.

أعضاء منخرطين في صفوف الحزب الحر الدستوري تحت زعامة الشيخ عبد العزيز الثعالبي ورغم سرية أعمالهم فإنه لم يكن خافيا عن الفتى الذكي أن يدرك أبعاد ما يجري من حوله، وهو طالما شاهد الزعماء الكبار من أمثال الثعالبي والباروني والرياحي يقبلون على دار البعثة ويستقبلهم الطلبة بحفاوة، وكانت كل الجلسات من خلال المحاضرات والندوات تدور كلها حول ترسيخ معاني الاعتزاز بالدين والشخصية والعمل على تحرير الوطن من أعدائه، وعن هذا الأثر الذي تركته تلك الأجواء في نفسه يقول: ((درست على هؤلاء دروسا دينية، وأخرى في الوطنية والتضحية في سبيل الوطن العزيز والأمة المجيدة ...))"[1]

وفي هذه الأثناء نجده يقرأ المجلات والصحف الواردة من المشرق العربي، فقد كان يشترك هو و زميله رمضان حمود على مناقشة محتوياتها، كما كان يشرف على مجلة اسمها *الوفاق* ومن خلال هذه المجلة نجد الطلبة بالبعثة يتخذونها مجالا للتباري والتنافس وتدريب الأقلام وبعث المواهب الشابة الصاعدة، وقد ترك شاعرنا العظيم في هذه المجلة إنتاجا غزيرا شعرا ونثرا، وكان يمثل مرحلة الطفولة الأدبية أحسن تمثيل.

"**العامل الثاني:** هو عمه الشيخ صالح بن يحيى والزعيم الثعالبي، أما عمه فهو يعد أحد الأقطاب الثلاثة الذين أسسوا الحزب الحر الدستوري التونسي، وغذوا الحرب الطرابلسية بالأموال المتجمعة من تونس والجزائر خاصة، بل إن الشيخ صالح قدم للحزب ما يملك من مال وحماسة وتعاطفا واعتقل من أجل نشاطه الوطني مع زميله عبد العزيز الثعالبي ومحمد الرياحي ...

وهكذا نشأ زكريا في بيت عمه نشأة وطنية منذ نعومة أظافره، وتلقى مبادئها على الزعيم الثعالبي الذي كان لا يفارق بيتهم، حتى إن مفدي ظل يحفظ توجيهاته ووصاياه

[1] – محمد الهادي السنوسي، شعراء الجزائر في العصر الحاضر، مطبعة النهضة، تونس،1926,ج1, ،ص15 .

وكان يرددها في مناسبات عديدة، وقد عبر عن كل هذا باعتزاز شديد عن تتلمذه على يد هذا الزعيم الوطني يوم استقبله بقصيدته "الشمال الإفريقي يتحد" وهذا بعد عودة الثعالبي من المنفى سنة 1937 مبايعا إياه بالزعامة ومعاهدا له على المضي قدما في النضال والمقاومة وهذا بعد غياب دام خمس عشر سنة يقول فيها:

يا زعيم الشمال و الشرق ويا من ملأ الشرق والشمال جهودا
إن شعب الجزائر اليوم قد جاء يهني لواءك المعقودا
و يهنيك باسمه (حزب الشعب) في المبادئ قد كان منك وليدا
فهو من روحك العظيمة جزء فتقبل من بعضك التمجيدا

العامل الثالث: هو هذا الجو الوطني الحار الذي كانت تعيشه تونس في العشرينات ولا سيما بعد الحرب العالمية الأولى، فقد عرفت هذه الفترة بطابع المجابهة بين القوى الوطنية وسلطات الاستعمار واتخذت مظهر المظاهرات والاضطرابات والكتابات الصحفية الحارة مطالبة بالحقوق أو تنديدا بالعنف والظلم وكانت تؤدي أحيانا إلى العنف"[1].

فكل هذه العوامل مجتمعة تضافرت على نشأة الشاعر نشأة وطنية وأثرت فيه تأثيرا قويا حين وجهته منذ ولادته إلى هذه الوجهة التي تميز بها، ومنذ سنة 1925 نلاحظ كيف أن حياته الأدبية اتصلت اتصالا جذريا بنشاطه السياسي الوطني وهذا ما نجده في قصيدته *إلى الريفيين * والتي كانت ذات شأن وتعد من بواكيره ونشرها في جريدتي لسان الشعب والصواب التونسيتين ثم الصحافة المصرية "اللواء" و "الأخبار" ليواكب بشعره ونضاله على مستوى المغرب العربي.

-" **أما المرحلة الثالثة:** وتمتد من سنة عودته إلى الجزائر إلى سنة تعينه رئيسا للجنة التنفيذية في حزب النجم أي من سنة 1926 إلى سنة 1936 وهي فترة الضياع كما هي

[1] – د. محمد ناصر، مفدي زكريا شاعر النضال والثورة، ص10-11 .

عند الكثير من العباقرة الكبار الذين يمرون بفترة البحث عن الذات، وهي فترة كتب فيها بعض القصائد التي تبدو أنها غير ذات شأن يذكر بالنسبة لما ستكتبه فيما بعد.

– **المرحلة الرابعة :** وتمتد هذه المرحلة من سنة 1936 إلى سنة 1954 وهي الفترة التي انضم فيها إلى الحركات الوطنية التحريرية والتي كان عملها سياسيا وكانت تنتظر لحظة انطلاق الحرب. وتعتبر هذه المدة من أخصب الفترات المبكرة جدا للعمل السياسي الفعلي والذي نجد في أيامنا هذه بعض الساسة يسمحون إلى تحقيقه نظريا ... ألا وهو قضية الوحدة المغاربية

تونس و الجزائر اليوم و المغرب شعب لن يستطيع انفصالا
وحدة أحكم الإله سدادها مـــــن يرد قطعها أراد محـــالا
نبتت من أب كريـــم و أم وسمت في الحياة عما و خـــالا
نصبوا حولها حـــدودا من الألواح جهلا وخدعة، و ضلالا" [1]

5 – "المرحلة الخامسة: وتمتد هذه المرحلة من سنة 1954 إلى سنة 1962 وهي أهم مرحلة على الإطلاق في حياة الرجل، حيث أظهر فيها براعة شعرية نادرة وكتب خلالها أهم الأناشيد الوطنية التي كان قد جرب ممارستها منذ فترة طويلة.

فقد كتب نشيد (من جبالنا طلع صوت الأحرار) سنة 1932" [2].

"إلا أن هناك العديد من الآراء حول نسب هذا النشيد لمفدي زكريا فهناك من ينسبه لثائر جزائري من الأوراس لا يعرف اسمه في حين أن مولود قاسم يؤكد على أنها لمفدي زكريا، فيقول: الشاعر الملهم، شاعر الكفاح الثوري السياسي وشاعر الكفاح الثوري المسلح، الأستاذ مفدي زكريا، صاحب الأناشيد الوطنية "من جبالنا طلع صوت

[1] – بلحيا الطاهر، تأملات في إلياذة الجزائر، ص40،41 .

[2] – المرجع نفسه، ص 41.

الأحرار" سنة 1932" فداء الجزائر روحي و مالي " سنة 1936 و"قسما" سنة 1955" [1]...

6 –" المرحلة السادسة: تمتد هذه الفترة من سنة 1962 إلى لحظة وفاته يوم 03 رمضان 1397 هـــ/ الموافق ليوم 17 أوت 1977 وهي ..فترة ضياع جديد و لكنه ضياع من نوع خاص هذا الذي ألح على تسميته بالضياع.

إن سنة (1962) بالنسبة للشاعر تمثل وصوله إلى الهدف العظيم الذي كرس حياته بأكملها لبلوغه، أنه استقلال الجزائر... حيث نجده بعد تحقيق أمنيته الكبيرة يبحث عن أمنية أخرى يحقق فيها ذاتيته، ولكن عبثا يجد (الحلم) فيأتي الضياع الأبدي، يتيه الرجل في عملية بحث عن المفقود (الوهم) فيلتقي به أو ببعض منه هنا وهناك، في بلاد المغرب و المشرق على السواء، وكانت بداية النهاية متمثلة في إبداع اخذ حمل كبير متمثلا في إلياذة الجزائر، ولكن بعد إتمام نهايتها بدأت نهاية الشاعر التي جاءت في صائفة 1977" .[2]

2-2 – وفاته: "في السابع عشر من شهر آب (أوت) عام 1977 ألف وتسعمائة وسبعة وسبعين انتهت رحلة الشاعر مفدي زكريا اثر سكتة قلبية و نقل جثمانه إلى الجزائر، ودفن في بلده (بوادي ميزاب) بعد أن غنى بلاده:

بلادي التي من ذوب قلبي نظمتها

نشيدا, فغنى الكون ثورتها شعرا .

غمست بمطلول الجراحات ريشتي

فجاءت (رسومي) تلهم العقل والفكر

[1] – مفدي زكريا، إلياذة الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،1987،ص09.

[2] – بلحيا الطاهر، تأملات في إلياذة الجزائر، ص43.

وواكبت في الأعماق ثورة أمتي

ولا زلت حتى أرسم البعث والنشرا "[1]

وقد توفي بعد أن أدى فريضة الحج مع زوجته وقد أرادت كل من حكومة تونس والمغرب دفنه في بلادها إلا إن الجزائر أبت إلا أن تدفنه في بلاده وفي مسقط رأسه "ببني يزقن" بغرداية.

وتوفي وهو حامل لوسام الكفاءة الفكرية من الدرجة الأولى من ملك المغرب ووسام الاستقلال من الدرجة الثانية من رئيس جمهورية تونس، ووسام الاستحقاق الثقافي من الحبيب بورقيبة أيضا".[2]

وهكذا ودع الحياة بعد أن ترك ذكراه في قلب كل أبناء المغرب العربي الكبير، ويجدر بنا الذكر انه قد تم إحياء ذكراه مرتين فقط، كانت الأولى سنة 1987وفي الذكرى العاشرة من وفاته، والمرة الثانية كانت في الذكرى الخامسة عشر سنة 1992م فرحم الله مفدي زكريا، شاعر الفداء.

2- 3- أهم مؤلفاته:

لمفدي زكريا نتاج أدبي وفكري متنوع منها ما هو مطبوع أو مخطوط أو منشور في العديد من الصحف والمجلات.

"ففي مجال الشعر صدر له ديوان "اللهب المقدس" في ثلاث طبعات الأولى عام 1961 عن المكتب التجاري بيروت والثانية عن وزارة التعليم الأهلي والشؤون الدينية بالجزائر الثالثة عن الشركة الوطنية للنشر والتوزيع بالجزائر عام 1983 وديوان (تحت ضلال الزيتون) عام 1965 عن دار النشر القومية بتونس، وصدرت له ملحمة (إلياذة الجزائر) في طبعات عدة نشرتها مجلة الأصالة الجزائرية وكان الشاعر قد ألقاها في الملتقى السادس للفكر الإسلامي الذي انعقد بالجزائر العاصمة.

---

[1] – أحمد دوغان، في الأدب الجزائري الحديث ــ دراسة ــ منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق ،1996، ط1، ص296 .

[2] – حواس بري، شعر مفدي زكريا دراسة وتقويم، ص53.

وترك إلى جانب هذه الأعمال الشعرية المطبوعة مخطوطات منها "أهازيج الزحف المقدس" وقد كتبها بلغة الشعب "وانطلاقة" التي تمثل المعركة السياسية في الجزائر من عام 1945 إلى عام 1954 و "الخافق المعذب" و "محاولات طفولة" وهما من إنتاج الشاعر في شبابه."[1]

"**مشاريع كان يأمل الشاعر إنتاجها:**

تاريخ الأدب العربي في الجزائر من الفتح الإسلامي حتى السبعينات تاريخ الصحافة العربية في الجزائر وقد عرف هذا المشروع طريقة إلى النور بمجهود الدكتور محمد ناصر.

وأعلن سنة 1972 عن ميلاد مشروع مسلسل تلفزيوني باسم الخالدون بالتعاون مع الأستاذ الحبيب شيبوب وأديب عربي بالمغرب والأستاذ عبد الكريم محمد، يعنى هذا المسلسل بتسليط الضوء على عبقريات مغربية عبر التاريخ.

ـ إلياذة لتونس ثم إلياذة للمغرب وتطبع الإلياذات الثلاث للجزائر وتونس والمغرب في ديوان واحد بعنوان (إلياذة المغرب العربي الكبير)."[2]

"وفي مجال المخطوطات النثرية ذكر لنا الشاعر في ديوانه (اللهب المقدس) مؤلفات كثيرة في الأدب والتاريخ والتربية منها:

1 – نحو مجتمع أفضل

2 – ست سنوات في سجون فرنسا

3 – حواء المغرب العربي الكبير معركة التحرير

4 – أضواء على وادي ميزاب

5 – قاموس المغرب العربي الكبير

6 – الأدب الشعبي في الجزائر عبر التاريخ

---

[1] – أحمد دوغان، في الأدب الجزائري الحديث، ص297 .

[2] – حواس بري، شعر مفدي زكريا دراسة وتقويم، ص54،55 .

7 – الثورة الكبرى (رواية)

8 – الجزائر بين الماضي والحاضر

9 – مذكراتي

10 – عوائق انبعاث القصة العربية."[1]

والملاحظ أن أهم أعماله غلب عليها النثر إلا أنها لا تزال متناثرة في الصحف العربية أو في إذاعتها وحتى في أقطار المغرب العربي، وقد كان مفدي يتمنى أن يجمع أعماله حسب تصوره ويقدمها للطبع.

وعندما سأله الأديب الصحفي في مقابلة عن آخر مشاريعه الأدبية أجاب:

"ترتيب إنتاجي وتحقيقه وإعداده للطبع" وهذا دليل قاطع على أن الشاعر لم يهيئ أعماله تلك للطبع ولو أنه انتهى من تأليفها فعلا: وهذا ما أكده لنا في مقابلة أجريناها معه بالدار البيضاء في صيف سنة 1947".[2]

[1] – أحمد دوغان، في الأدب الجزائري الحديث، ص298.

[2] – محمد ناصر، مفدي زكريا شاعر النضال والثورة، ص24 .

الفصل الأول

إسهامات مفدي زكريا السياسية والأدبية

المبحث الأول: نشاطه السياسي

المبحث الثاني: نشاطه الفكري

المبحث الثالث: شعره الثوري

مدخل :

إن مفدي زكريا كان ملتزما بقضايا وطنه بدءا من باكورة إنتاجه إلى أن اشتد ساعده وقوي عوده وأصبح شاعر الثورة الجزائرية، وهذا دليل على أن تفانيه في حب الجزائر.

فهو شاعر نمى وترعرع بصوته ونبراته، وصراخاته وغضباته من خلال قصائده الثورية التي كتبتها من أجل جزائر حرة مستقلة، ومن خلال أعماله السياسية النضالية والأدبية الفنية التي أبدع فيها بقلمه المناضل، حيث كان الشعر وسيلة أساسية عنده لتخليد أمجاد الثورة ومآثرها، ولا يستطيع أي باحث أن يدرك عمق الثورة الجزائرية ما لم يلم الماما واسعا بجذورها، فالثورة الجزائرية أكدت على أصالة الشعب وتشبثه بمبادئ الحركة والذي استرجع سلاحا لمحاربة الاستعمار بالإضافة لأعماله ونشاطاته الصحفية التي رسخت في أدبنا الجزائري.

المبحث الأول : نشاطه السياسي

مفدي زكريا شاعر الثورة الجزائرية دون منازع فهو حال لسان بلاده فمنذ دب الشعور الوطني والقومي في شعبها أخذ يوعيه ويبث فيه بطولات وأمجاد تهز كيانه بالكرامة وتدعوه للتطلع لمستقبل مشرق والنهوض لاسترجاع حق مسلوب.

"فالتربية التي تلقاها مفدي جعلته يتعلق بسير الأبطال والعظماء من الرجال وفي هذا يقول عن نفسه وعن صديقه (رمضان حمود) وكيف كان يلتهم كتب الأبطال العظماء:

(أتذكر أننا تحالفنا على أن نسرد تاريخ (مصطفى كامل المصري) في مدة خمسة عشر يوما، فأتينا على قراءته باستغراق جميع أوقات النهار وزلف من الليل."[1]

وهكذا فمفدي زكريا خلق لأن يكون رجلا سياسيا له مواقفه و آراءه التي تبلورت فيما بعد و عرفت في شعره و ظهرت في نثره .

وكانت بداية النشاط السياسي لمفدي زكريا سنة 1922 عندما كان طالبا بتونس وحين عودته إلى الجزائر سنة 1926 التحق بحزب نجمة إفريقيا الشمالية فكان الحزب منبرا لآرائه السياسية عبر قصائده وخطبه والتي وجدت الصدى الواسع فنجده يحث على ربط العلاقات بين دول المغرب العربي" فيلح على وحدة المغرب العربي في مؤتمر تلمسان سنة 1935 يمثل قوله:

إن الجزائر في الغرام و تونسا والمغرب الأقصى خلقن سواء
نحن العروبة و الشمال بلادنا وبه نعيش أعزة كرمـــــــاء
أرض مطهرة تضم ضلوعها مهجا هناك زكية و دماء." [2]

[1] – حواس بري ، شعر مفدي زكريا دراسة و تقويم ،ص35.

[2] – محمد ناصر ، مفدي زكريا ، شاعر النضال و الثورة ،ص14-15.

ومفدي زكريا كان كثير السفر إلى تونس على رأس حزب نجم الشمال الإفريقي وذلك لأهداف سياسية محضة أهمها توحيد الصفوف والعمل السياسي لمجابهة العدو المشترك في إطار خطة مشتركة وموحدة فنجده يقول في قصيدة" البردة الوطنية عام 1937 .

تونس والجزائر اليوم والمغرب، شعب لن تستطيع انفصالا
وحدة أحكم الإله سداهـــــــــا من يرد قطعها أراد محالا
نبتت من أب كـــــــريم، و أم وسمت في الحياة عما وخالا "[1]

ولما كان مفدي عضوا فعالا وبارزا في الحزب مكنه هذا أن يكون عضوا مسؤولا فيه فكان رئيسا للجنة التنفيذية مستخدما في شعره كسلاح للدعاية للحزب.

ونظرا لهذا النشاط الفعال للحزب ولمفدي زكريا ازدادت رقابة الاستعمار له والتي حلت الحزب في 12 ديسمبر عام 1936 ولكن بشهور قليلة بعدها تأسس حزب الشعب في 27 مارس 1937 "وهنا عمل مفدي كأمين عام للحزب وعند صدور العدد الأول من الجريدة توجه الشاعر بقصيدة يحيى فيها الأحزاب التي سبقت حزبه ويدعو للأخير بالدوام وفي القصيدة تجلت معاني الحب والوطنية والإيمان العميق والحب الخالص للجزائر:

فداء الجزائر روحي ومالي ألا في سبيل الحرية
فليحي حـــزب (الاستقلال) ونجم شمال أفريقية
وليحيى الشعب الغالـــــــي مثال الفداء و الوطنية" [2]

والقصيدة جرت على لسان كل جزائري والتي حفزتهم على الثورة، كما نلاحظ في نشيد الانطلاقة الوطنية الأولى لحزب نجمة إفريقيا الشمالية تنديدا بسياسة الاندماج و الفرنسية التي كانت تعمل لها فرنسا من خلال مشروع "بلوم فيولت" للجبهة الشعبية الفرنسية" يقول:

[1]– محمد ناصر، مفدي زكريا، شاعر النضال والثورة، ص15.
[2]– حواس بري، شعر مفدي زكريا دراسة و تقويم، ص35.

فلسنا نرضى الإمتزاجا ولسنا نرضى التجنيسا!

و لسنا نرضى الإندماجا ولا نرتد : فرنسيسا !

رضينا بالإسلام تاجـــا كفى الجهال تدنيسا !

فكل من يبغى اعوجاجا رجمناه كإبليسا! [1]

وفي 29 أوت 1937 سجن مفدي زكريا بعد أن اتهمته فرنسا بالتآمر ضد أمنها.

"وعندما اختار الشاعر مفدي زكريا النضال والثورة والانضمام إلى (جبهة التحرير الوطني) كان لا بد أن يتوقع بين لحظة وأخرى أن يكون في غياب السجون والزنزانات."[2]

وأثناء وجوده في السجن كتب" نشيد الشهداء في 29 نوفمبر 1938 و في 1956 صدر الأمر من جبهة التحرير إلى المحكوم عليهم بالإعدام أن يرددوه قبل الصعود المقصلة:

اعصفي يا رياح واقصفي يا رعود

واثخني يا جراح وأحدقي يا قيود

نحن قوم أبـــاه ليس فينا جبان

قد سئمنا الحياة في الشقاء و الهوان "[3]

ولما كان مفدي زكريا في السجن اصدر مع زملائه جريدة البرلمان الجزائري و الذي كان رئيس تحريرها .

"وبعد اندلاع الحرب العالمية الثانية أفرج عن مفدي ولكنه كان يخرج من سجن إلا ليعود إليه مرة أخرى إذ ما لبث أن عاد إلى المشاركة في تحرير جريدتين وطنية

[1]– مفدي زكريا ،اللهب المقدس ،ص73.

[2] – أحمد دوغان، في الأدب الجزائري الحديث ،ص299 .

[3] – مفدي زكريا، اللهب المقدس، ص73.

سريتين هما الوطن والحركة الوطنية واعتقل مرة أخرى سنة "1940[1] وذلك لمدة ستة أشهر ثم مرة أخرى لمدة ثلاثة أشهر.

ومع هذا فان مفدي زكريا بمجرد خروجه من السجن استأنف نشاطه السياسي مع حزب جديد "حزب الانتصار للحريات الديمقراطية" ومع اندلاع الثورة التحريرية في 01 نوفمبر 1954 حل الحزب.

وفي "سنة 1955 التحق بصفوف جبهة التحرير مناضلا في خلايا الحزب بالعاصمة وكانت داره بالقبة مقرا لاجتماعات المناضلين ولعل أهم ما قام به في هذه الآونة هو نظمه نشيد الثورة الجزائرية الخالد "قسما بالنازلات الماحقات".[2]

وقد" نظمه بسجن بربروس في 25 ابريل 1955

قسما بالنازلات المـــاحقات والدماء الزاكيات الطاهرات

والبنود اللامعات الخافقات في الجبال الشامخات، الشاهقات

نحن ثرنا ، فحياة أو ممات

و عقدنا العزم ... أن تحيا الجزائر

فاشهدوا "[3]

"وهكذا فإننا نجد أشعارا رائعة لمفدي زكريا هي من وحي السجن والقهر. وتتقد حرارة وتنبض نفسا ممتدة في رحم الزمن، تلمس فيها روح تلك السنوات التي اكتوى بنارها، ولسنا نشك في أن صدمة كانت مبعث الروعة في الرائع من شعره، مثلما كان مبعثا من أوجاعه وأحزانه.[4]

---

[1] – د. محمد ناصر، مفدي زكريا شاعر النضال والثورة، ص18.

[2] – المرجع نفسه، ص18 .

[3] – مفدي زكريا، اللهب المقدس، ص61.

[4] – د. علي خذري، دراسات في الأدب الجزائري الحديث، نقد الشعر مقاربة لأوليات النقد الجزائري الحديث، 1998، ص73 .

"ولما كانت الثورة في أوجها القي القبض عليه مع العديد من زملائه في 19 أفريل 1956 أين سجن بسجن بربروس إلى غاية 28 جوان 1957 أين حول إلى سجن الحراش والذي بقي فيه إلى غاية 19 ديسمبر 1957 ثم سجن برواقيه إلى غاية إفراجه سنة 1959 وقد لقي مفدي في تلك السجون كل أنواع التعذيب كما أبدع فيها العديد من القصائد الثورية التي عبرت عن معاناته بكل صدق، ولقد أفرج عنه في فيفري من عام 1959 لكن فرنسا بقيت تراقبه إلى أن تمكن من الفرار إلى المغرب ثم تونس لتلقي العلاج الضروري نظرا لضعف بنيته، وفقدان قوته بسبب التغذية داخل السجون"[1] وهكذا فالنشاط السياسي الذي عمل من أجله مفدي يعد تجربة فريدة من نوعها في أقطار الشمال الإفريقي. وخاصة لأولئك الشعراء الناشئين في فضاء البعثات العلمية في تونس الخضراء والذين عبروا من خلال أشعارهم عن حبهم لوطنهم وانتمائهم للإسلام والعربية.

[1] –ينظر د. محمد ناصر، مفدي زكريا شاعر النضال والثورة، ص18.

المبحث الثاني: نشاطه الفكري

"نشاط مفدي زكريا الفكري غزير كغيره من رجال الفكر والأدب، حين يظهرون على مسرح الحياة الفكرية أو العلمية أو الأدبية بما يساهمون به من أعمال، وما يؤدونه من ممارسات في هذا الحقل أو ذاك ولو بباكورة إنتاجهم أو ببداية نشاطهم، ومفدي كهؤلاء وغيرهم، سطع نجمه في تونس، لما كان يساهم في إخراج مجلة تتماشى ومستوى أقرانه من أبناء البعثة الميزابية بما كان ينظمه من أشعار، أو بما يكتبه من مقالات و آراء حرة"[1].

ومع نضوج تجربته بحكم الممارسة "نجده في سنة 1933 يؤسس بالعاصمة هو وجماعة من التجار "جمعية الوفاق" التي أصدرت جريدة باسم الحياة وأسندت إدارة تحريرها إلى مفدي"[2]. وهذه الجريدة متعددة المجالات والاهتمامات فهي اقتصادية واجتماعية وسياسية لذلك نجد صاحب الجريدة قد وزع منشورا على الأدباء كان فيه "إن جريدتنا علمية أدبية اقتصادية أخلاقية جامعة، أسست لتعمل على هدم كل ما شيدته أيدي الجهل والتفريط والكسل، وعلى إزالة ما يحول بين مسلمي هذه البلاد وبين رقيها العلمي والأدبي والاقتصادي وهي ليست حبسا على أفراد معينين أو مقيدة بحزب من الأحزاب..."[3]

وهذه الجريدة صدر منها ثلاث أعداد فقط لكنها وثيقة هامة لفهم اتجاهات مفدي .

ومفدي زكريا من محبي العمل الصحفي من بداية حياته، "وهو الذي كان يقدم برنامجا في إذاعة تونس بعنوان "حديث الصباح" للتعريف بأعلام المغرب العربي ولقد حاول الشاعر أن يجمع هذه المقالات تحت عنوان الصحافة الغربية في المغرب العربي إلا أن

[1] – حواس بري ، شعر مفدي زكريا دراسة و تقويم ،ص39.

[2] – د. محمد ناصر ، مفدي زكريا شاعر الثورة و النضال ،ص12.

[3] – حواس بري ، شعر مفدي زكريا دراسة و تقويم ،ص40 .

القدر لم يمهله ومن بين الجرائد التي اشتغل فيها مفدي زكريا جريدة: الإذاعة بتونس وجريدة البرلمان وجريدة الشعب الجزائريتان".[1]

وذلك لإيمانه بأن للصحف دور كبير في شحذ العزائم وتحريك الأقلام لأهميتها الكبيرة في التثقيف والتعليم وهي التي تكون الوعي السياسي للشعوب "فيقول مناديا الكتاب والشعراء ليساهموا في جريدة الشعب:

تعالوا نقتحم حلو الأماني تعالوا نقتسم هذي الجراحا
تعالوا نرهف الأقلام يوما و يذكر عندها الأدب الصراحا
و تكتب بالدم الغالي حروفا و نعلم للبنين بها الكفاح
و ننقذ بالبراعة حق شعب غدا نهبا و أصبح مستباحا
يقضي القوم عمرهم جهادا و نقضي العمر كالثكلى نواحا
فلا نال الكرامة من ثواني و لا رزق الحياة من استراحا" [2]

ومفدي زكريا عمل على إثراء الحياة الثقافية عن طريق الصحف والمجلات العربية والأندية فكان من المتحمسين للحركة الإصلاحية من خلال شعره ومقالاته واقفا ضد كل حركة مضادة لها، فكان يشارك في الحملات ضد معارضيها بداية الثلاثينات، كما أنه شارك في الصحف الإصلاحية كالمرصاد، و"حين نشأت "المعيار" ذات الاتجاه المعادي للإصلاح وهي المعروفة بأسلوبها المتدني سبابا ...استدعته طائفة من الشباب الإصلاحي ليقف إلى جانبهم في الرد على حملات "المعيار" فكان ديك الجن وهذا هو لقبه الأدبي الذي كان يوقع به ذلك الإنتاج، وعرفته جريدة "الجحيم" كاتبا مقذعا يثير الخصوم بقرصانه المؤلمة يقف في الواجهة الإصلاحية إلى جانب الكاتبين العمودي والزاهري المشهورين بسخريتهما اللاذعة وتهكمها المرير وأسلوبهما الذي ينزل أحيانا إلى حد الفحش والبذاء، وعلى الرغم من أن الموقف كان يستدعي ذلك الأسلوب الذي

[1] – حواس بري، شعر مفدي زكريا دراسة وتقويم، ص40.

[2] – المرجع نفسه ، ص41 .

تفرضه المعركة الأدبية فإن مفدي كان يؤثر أن تتجه تلك الكتابات إلى ما يعود على الأمة وهي في خطوات نهضتها الأولى إلى الدعوة إلى إرساء الأسس القوية التي تبني عليها هذه النهضة ولا سيما في الميدان الاجتماعي والسياسي".[1]

ومع أن مفدي زكريا كان هذا موقفه للحركة الإصلاحية إلا أنه لم ينضم إلى جمعية العلماء المسلمين لعدم اقتناعه في محاورتها للاستعمار فالمعروف أنها جمعية دينية لا علاقة لها بالسياسية وهذا ما رفضه فيها مفدي زكريا الداعي إلى استرداد الحرية بالقوة والمواجهة، ومع ذلك فإنه كان شديد الإعجاب بها يتجلى ذلك في مقالاته وقصائده.

فنجده قد كتب قصيدة بعنوان "من يشتري الخلد؟ فإن الله بائعه! بمناسبة تدشين دار ابن باديس للطلبة الجزائريين التابعين لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين بقسنطينة في 25 أكتوبر 1953.

فيقول فيها :

جمعية العلماء المسلمين, و من للمسلمين سواك اليوم منشود ؟
خاب الرجا في سواك اليوم ,فاضطلعي بالعبء ،مذ فر دجال و رعد يد
سيروا و لا تهنوا ، فالشعب يرقبكم و جاهدوا ، فلواء النصر معقود!
أمانة الشعب,،قد شدت بعاتقكم فما لغيركم، تلقى المقاليد

ثم يقول :

يا دار، أنت على التقوى مؤسسة مبناك بالطهر، مرصوص ،و مشدود
يا دار ،حملت آمال البلاد ففي أحشائك اليوم ،أشبال صناديد "[2]

[1] – محمد ناصر ، زكريا شاعر النضال و الثورة ،ص12،13 .

[2] – مفدي زكريا ، اللهب المقدس ،ص228،229.

"أما بالنسبة للمقالات ففي جريدة الصباح التونسية نجد مقالا خصصه لرئيس الجمعية الشيخ (عبد الحميد بن باديس) وأثنى عليه بما يليق بمقامه كرجل خدم الوطن، والأمة لما كونه من رجال تحملوا مسئولية الدفاع عن الوطن والذود عن الدين واللغة."[1]

كما نجده بعد وفاة عبد الحميد بن باديس الذي خلفه البشير الإبراهيمي يشيد بأعمال هذا الأخير فيقول :

"جاءا البشير فزكاها وأرسلها فضائلا كلها عزم وتأكيد"

لأن الإبراهيمي كان يعد البعثات العلمية إلى تونس وأشرف عليها بنفسه استطاع بذلك أن ينير عقول شباب الأمة بنور العلم و المعرفة.[2]

وباجتهاد القائد كان الجيل الذي حمل السلاح فحياه مفدي كونه عالما ومصلحا جادا، وكان يرى أن ثقل الرسالة ملقى على عاتقه فيقول:

"علما: لح بأرض تونس واسطع سماها تحفك(الأعلام)

وتنزل مكرما، و عزيزا في بلاد يعتز فيها الكرام

وتفيأ ضلالها فهي(خضرا ء) ففي قدسها يطيب المقام "[3]

والأبيات من قصيدة "التحيات أيها الإمام" التي ارتجلها في مهرجان لتكريم الإبراهيمي بتونس في 13 يوليو 1961 .

ومفدي زكريا قد عمل على مواكبة كل الأحداث التي تمر بها الجزائر والوطن العربي وهذا لمقالاته التي نشرت أغلبها في الصحف التونسية كالزهرة والنهضة وتونس وكذلك الشباب كما نجد في كتاباته تصعيدا للاستعمار الفرنسي وتحدي له وتحليلا لكل التيارات التي تمخضت عن المؤتمر الإسلامي الجزائري الثاني سنة 1937 .

[1] – حواس بري، شعر مفدي زكريا دراسة وتقويم ،ص46،47.

[2] – المرجع نفسه، ص47.

[3] – مفدي زكريا، اللهب المقدس ،ص207،208.

وهذا ما تدل عليه الوثائق الصحفية كما بلغت ذروة هدا التصعيد يوم 14 جويلية 1937 في المظاهرة الضخمة التي راحت تشق شوارع العاصمة حاملة العلم الجزائري مطالبة بالحرية والاستقلال وهي تردد نشيد فداء الجزائر.

"ومفدي زكريا كان من المتحمسين من حزب الشعب لا يعبرون عن انتمائهم الوطني من خلال ما يكتبونه أو يقولونه فحسب بل حتى بلباسهم الذي يرمز للعلم الجزائري بألوانه الزاهية فكانوا يلبسون عباءة خضراء وقميصا أبيض وطربوشا احمر وربطة عنق طرز بها هلال ونجمة"[1].

و"قد ترأسا في هذه الفترة جريدة" الشعب" التي أبدع فيها مفدي نثرا وشعرا، ومن أسباب سجنه تلك المقالات الحماسية والنارية، وبالرغم من سجنه إلا إنه لا ينقطع عن الكتابة فكان يكتب المقالات السياسية والقصائد الثورية ويرسلها خفية لتنشر بالصحف التونسية."[2]

كما "نظم نشيده الثوري المعروف اعصفي يا رياح، وكان المساجين ينشدونه أمام الزنازين"[3].

"وقد تعرف مفدي زكريا بعميد المسرح الجزائري باشطارزي والممثل محمد التوري فاختلط بذلك في الجو الفني فألف العديد من أغاني غناها مطربون من تونس والجزائر كما أنه التقى بالفنانة وردة الجزائرية التي أخبرته قائله "يسعدني أن أخبرك أن قصيدك الثائر قد تم تلحينه أو كاد، وقد لحن على شكل اوبريت شعرية...)."[4]

"وقد لحن العديد من الأغاني الملحن التونسي المشهور محمد التريكي"[5] .

---

[1] – محمد ناصر، مفدي زكريا شاعر النضال والثورة، ص17.

[2] – المرجع نفسه ، ص17 .

[3] – المرجع نفسه ، ص18.

[4] – حواس بري ، شعر مفدي زكريا ، دراسة و تقويم ،ص44.

[5] – محمد ناصر مفدي زكريا ، شاعر النضال و الثورة، ص19.

وما يمكن قوله أن الفترات التي قضاها مفدي في السجون جعلته يبدع أروع القصائد الثورية ولعل المعايشة والمعاناة هي التي تفجر تلك الطاقة الصادقة.

كما أنه كانت لمفدي زكريا مشاركة فعالة في صحيفة المجاهد وغيرها من الصحف التونسية والمشرقية وإن كان مفدي لم يغادر حدود المغرب العربي إلا أن شعره كان مدويا في سماء الدول العربية الأخرى كمصر ولبنان وسوريا فنجد مثلا جريدة الحياة اللبنانية من بين الجرائد العربية التي نشرت إنتاجه, "فأصبح بذلك سفيرا بدون أوراق اعتماد, يخدم قضية الثورة ويطلع إخوانه في المشرق بما لا يعلمون عن الثورة الجزائرية و عروبة الجزائر."[1]

هذا كان نشاط مفدي زكريا الفكري الذي عاش من أجله محبا لوطنه فخدمه بكل ما أوتي من قوة فكرية وإبداعية ودهاء سياسي، فقد لذلك ما يعود على الثورة الجزائرية بما فيها على الصعيد العربي والدولي.

[1] – حواس بري، شعر مفدي زكريا، دراسة وتقويم ،ص45.

المبحث الثالث :شعره الثوري

"الثورة الجزائرية أثرت في الشعراء والشعر عربيا وعالميا كما دفعت الكتاب والدارسين إلى الحديث عنها وعن تأثيرها في العالم بوجه عام وفي العالم الثالث بوجه خاص وعن أثرها في تحرير الشعوب من السيطرة الاستعمارية الغربية عامة والفرنسية خاصة."[1]

لذلك فإن الشعر الثوري في الجزائر كان صوت الجماهير باختلافاتها ومن هنا فإن الشاعر كان يكرس قلمه على بث روح الهمة و الكفاح في نفوس المواطنين، فكان الشعر الثوري الشرارة الأولى لانطلاق الثورات الكبرى التي حررت الإنسان من العبودية ومن أمثال هؤلاء الشعراء الأفغاني والكواكبي ومفدي زكريا وغيرهم.

ومفدي زكريا من الشعراء الذين خطوا بالشعر الجزائري خطوة إلى الأمام لأن الثورة الجزائرية أمدتهم بتجارب جديدة وأرض خصبة فقدسوها وذلك لما تحملها من معاني ثورية.

"والقارئ لأشعار مفدي زكريا يلاحظ ظاهرة فريدة مميزة لإشعاره ألا وهي ظاهرة الثورة والتحمس لها فقلما تخلوا قصيدة من قصائد ديوانه اللهب المقدس من هذه الظاهرة"[2]، "فمقدمة الديوان توضح هذا التوجه في شعره فتوضح لنا بشكل جلي موقف الشاعر البطولي الذي أشاعه بدعوى استلهام الواقع الثوري وهو الواقع الذي تؤكده معظم القصائد التي كتبها في سجنه مثل: الذبيح الصاعد ,زنزانة العذاب و قال الله ، وتعطلت لغة الكلام، حروفها حمراء، اقرأ كتابك.."."[3]

---

[1] – د. عبد الله ركبي، الشعر ... في زمن الحرية دراسات أدبية ونقدية، دار الكتاب العربي، ص11.

[2] – محفوظ كحوال، من أروع قصائد مفدي زكريا مع دراسة أدبية، نوميديا للطباعة والنشر والتوزيع ،ص11.

[3] – د. عمر احمد بوقرورة، دراسات في الشعر الجزائري المعاصر، الشعر وساق المتغير الحضاري، دار الهدى، الجزائر، ص34.

"وفلسفة الثورة عنده تنبع من الدين والعروبة فلم يفصل بين وطنه والبلاد العربية، وكافح دائما من أجل لغته وقوميته وإسلامه فكابد من جراء ذلك ألوانا من الآلام كان يعبئ النفوس بالحماسة، ويوم اندلعت الثورة الجزائرية سماها "ليلة القدر الكبرى".[1]

"فيقول في قصيدة ليلة القدر الكبرى:

دعا التاريخ ليلك فاستجابا

نوفمبر هل وفيت لنا النصابا ؟

وهل سمع المجيب نداء شعب

فكانت ليلة القدر جوابا

تبارك نيلك الميمون نجما

وجل جلاله هتك الحجابا

زكت وثباته عن ألف شهر

قضاها فيك يلتحف السرابا

تجلى ضاحك العثماني تحكي

كواكبه قنابله لهابا

يناشئه هناك أشد وطئا

و أقوم منطقا واحدا نابا

مضت كالشهب و انحدرت شظايا

تلهب في دخنتها التهابا

وهزت "جبهة التحرير "شعبا

فصب الشعب ينصّب انصبابا" [2]

[1] – د. نسيب نشاوي، مدخل إلى دراسة المدارس الادبية فن الشعر العربي المعاصر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1984، ص358.

[2] – عبد الله ركبي، دراسات في الشعر العربي الجزائر الحديث، ص137،138.

وهكذا فإن المتصفح لديوانه اللهب المقدس تجده كله ثورة ونار ورصاص كما أن عناوين قصائده توحي بالثورة وأحداثها مثل قصيدة أنا ثائر وتكلم الرشاش جلاله، اذكروا الثورة في أقسامكم ...الخ.

وهكذا فإن مفدي من خلال قصائده كان يدعو إلى الثورة والجهاد من أجل الحرية، وكان" في هذه الأثناء يبحث عن المجال الثوري الذي يطبق فيه ما تلقاه من دروس في النضال والثورة عن عمه الشيخ صالح بن يحي والزعيم الكبير عبد العزيز الثعالبي و أستاذه في البعثة بتونس أبي يقظان... وما وعاه من قراءته الطويلة عن زعماء الوطنية أمثال مصطفى كامل وسعد زغلول..."[1]

لذلك نجده منذ مطلع الثلاثينات يبعث أفكارا ثورية في أشعاره فكان يدعو إلى حب الوطن وضرورة الدفاع عنها فكانت عاطفته جياشة مندفعة من كل قصائده خاصة في إلياذته الشهيرة، فنجده في" نشيد الانطلاقة الوطنية الأولى التي نظمها سنة 1936 يعبر عن آمال وآلام كل جزائري في الاستقلال فيقول:

فداء الجزائر روحي و مالي ألا في سبيل الحرية
فليحي (حزب الاستقلال) و(نجم شمال افريقية)
وليحي شباب الشعب الغالي مثال الفداء و الوطنية
ولتحي الجزائر مثل الهلال و لتحي فيها العربية "[2]

فكان هذا النشيد كمواجهة علنية للاستعمار ورفضا لسياساته هذا ما جعله يرفض الامتزاج فوقف أمام كل من يدعو للاندماج والتجسس بالجنسية الفرنسية فيقول:

"فلسنا نرضى الامتزاجا و لسنا نرضى التجنيسا!
و لسنا نرضى الاندماجا و لا نرتد : فرنسيسا !"[3]

[1] – محمد ناصر مفدي زكريا، شاعر النضال والثورة، ص46.
[2] – مفدي زكريا، اللهب المقدس، ص89 .
[3] – المصدر نفسه، ص90.

لذلك فإن إيمانه بالكفاح المسلح كان الحل الوحيد لاسترداد الحرية ولاستقلال الجزائر فنجده يقول ردا على من استبعدوا الجزائر عندما طالبت بحقها بالقوة بعد أن فشل السلم

"و إذا الجزائر بالسلام استبعدت فمصيرها، بسلاحها يتقرر

إن كانت (الحبات) أمس زبرجدا فاليوم حبات (الرصاص) العنبر"[1]

و يقول في موضع آخر :

"مصيرنا بالدم الغالي، نقرره من محفل الموت ،لا في عقد مؤتمر.." [2]

و من خلال الأبيات نستشف إلحاح مفدي و تأكيده على العمل المسلح فما أخذ بالقوة لا يسترد إلا بالقوة لذلك نجده يستخدم أسلوبا لافحا و لهجة لم تعتدها فرنسا فيخاطبها موضحا ما يتوجب عليها فعله و ما فعله و ما يقال لها كذلك و ما يقال لصاحب القضية كاشفا فضائح و دسائس المستعمر فيقول في قصيدة :

"يا فرنسا ــ لا تجهلينا ــ فإنا قد نهضنا فلا نطيق ركودا

قد كرهنا حياة ظلم و جور و سئمنا الخراب و التبديد ا

كف هذي اللجان عنا فإنا قد سمعنا وعيدها و الوعودا

و رأينا اللجان كيف تغني و فيوليت إذ يستعيد القصيدا "[3]

فكانت هذه القصيدة سببا في مصادرة فرنسا لجريدة الشعب و أوقفت رئيس تحريرها مفدي زكريا وزجته في السجن .

و بعد نشوب الحرب العالمية الثانية أطلق سراحه ، و قد شهدت الحركة الوطنية أزمة الانشقاق و التمزق الحزبي ،و ظل مفدي محايدا حتى قيام الثورة التحريرية المثالية أين ارتمى في أحضانها شاعر و مناضلا .

فنجده يؤلف لها نشيدا بعنوان "فاشهدوا" يقول فيه :

---

[1] –مفدي زكريا ،اللهب المقدس،ص119.

[2] – المصدر نفسه،ص123.

[3] – محمد ناصر مفدي زكريا ، شاعر النضال و الثورة ،ص50 .

"قسما بالنازلات ، الماحقات... و الدماء ،الزاكيات الطاهرات ...

و البنود اللامعات ،الخافقات في الجبال الشامخات الشاهقات

نحن ثرنا , فحياة أو ممات ...

و عقدنا العزم... أن تحيا الجزائر

فاشهدوا ..."[1]

و يطلعنا من سجن برواقية سنة 1957 في قصيدة عنوانها "تعطلت لغة الكلام" يقول في مطلعها :

نطق الرصاص، فما يباح الكلام !

و جرى القصاص ،فما يتاح ملام !

و قضى الزمان ،فلا مرد لحكمه

و جرى القضاء ،و تمت الأحكام ..

و سعت فرنسا للقيامة ،و انطوى

يوم النشور ،و جفت الأقلام" [2]

و هكذا فإن مفدي دائما ما كان يؤكد على حمل السلاح و استمرار القتال إلى أن تعترف فرنسا باستقلال الجزائر فنجده يقول في" قصيدة "حروفها حمراء "التي نظمها بالسجن سنة 1958 و هي رد لغي مولي * الذي دعا للانتخابات

لاذ بالانتخاب (مولي) سفاها في بلاد تسيل فيها الدماء !

أي معنى لمجلس، دون حكم وطني ،على يديه القضاء ؟

نحن نبغي استقلالنا ....حرفوه ....و ما استطعتم ...إن صدّعنه الحياء..."[3]

---

[1] – مفدي زكريا ، اللهب المقدس ،ص61.

[2] – المصدر نفسه ،ص41 .

* كان يف ذلك الوقت رئيسا لحكومة فرنسا

[3] – مفدي زكريا ، اللهب المقدس ,ص49.

"فالإيمان بفاعلية الكفاح المسلح وحده جعل شعراءنا ينددون بموقف المجلس الدولي وهيئة الأمم المتحدة والمؤتمرات ذات الطبع السياسي ،فلم نر من بينهم شاعرا واحدا أعطى قيمة للجانب الدبلوماسي و إنما كانوا على العكس من ذلك يؤكدون على ضرورة الصمود إلى النهاية و يرفضون أنصاف الحلول رفضا باتا"[1].

و في هذا يقول مفدي زكريا و هو يؤمن بعدم صلاحية هذه المنظمات في قصيدة" و تطلعت لغة الكلام "

و الحق و الرشاش إن نطقا معا عنت الوجوه ، و خرت الأصنام .!

ما للجزائر، ترجف الدنيا لها ؟ و الكون يقعد لها في الخافقين غمام؟

لا تعجبوا... فالدهر سجل دوره ما للخطوب ،على الشعوب دوام ..."[2]

و هكذا فإن الثورة الجزائرية قد قدمت في مدى سبع سنوات واقعا خصبا زاخرا بالشعر الجزائري ، بل إن الشاعر لم يلتمس في ملامح الجزائر الثائرة إلا ملامح قصيدة غزلية مطلعها نوفمبر كما يقول مفدي زكريا في قصيدة "اقرأ كتابك" :

"إن الجزائر في الوجود رسالة الشعب حررها و ربك وقعها

إن الجزائر قطعة قدسية في الكون لحنها الرصاص ووقعا

و قصيدة أزلية أبياتها حمراء كان لها نوفمبر مطلعا "[3]

و من هنا نجد أن مفدي زكريا قد قدس ثورة الجزائر كما قدس بطولات شعبها و لم ينسى بطولات المرأة الجزائرية التي خلدها ممرضة و فدائية كما خلدها جندية و مجاهدة و التي تجلت من خلال ثلاث جزائريات هن جميلة بوحيرد * جميلة بوباشا * و جميلة بوعزة اللاتي صمدنا ضد الاستعمار الفرنسي، فنجده يكتب قصيدة بعنوان "نشيد بنت الجزائر الذي نظمه سجين بربروس سنة 1956 يقول فيه :

---

[1] – الوناس شعباني ، تطور الشعر الجزائري منذ 1945 حتى سنة 1980، ص88.

[2] – مفدي زكريا ، اللهب المقدس ،ص42.

[3] –المصدر نفسه ،ص51،52 .

أنا بنت الجزائر أنا بنت العرب

يوم نادى المنادي و دعا للكفاح

قمت أحمي بلادي و غدوت الجناح

أنبري للأعادي و أداوي الجراح "[1]

كما وقف الشاعر تجاه وطنه موقف النخوة قائلا في قصيدة اقرأ كتابك :

"و اقرأ كتابك للأنام مفصلا

تقرأ به الدنيا الحديث الأروعا !

و أصدع بثورتك الزمان و أهله

و اقرع بدولته الورى ،و المجمعا

و اعقد لحقك في الملاحم ندوة

يقف الزمان بها خطيبا مصقعا !

و قل : الجزائر! و اصبغ إن ذكر اسمها

تجد الجبابر.. ساجدين و ركعا !"[2]

و بصفة عامة فإن الشعر الثوري كان غزيرا جدا في فترة ما قبل الثورة و لقد استطاع أن يؤدي مفعوله بشكل جيد ، و ذلك بتحميس الشعب و هذا كله يعود إلى شاعر الثورة الذي عاشها و تعايش معها ، و هذا من خلال قصائده بداية من القصيدة التي أشاد فيها بثورة الريف سنة 1925 فكان هذا الشعر سببا في محنته و بلائه و تعرضه للسجن و التعذيب في العديد من المرات الذي كان قدره طيلة عمره الشعري الذي دام اثنين و خمسين عاما و الذي طالما ردد شعاره

* الإسلام ديننا و العربية لغتنا و الجزائر وطننا * .

[1] – مفدي زكريا ،اللهب المقدس،ص79 .

[2] – المصدر نفسه ،ص51 .

الفصل الثاني

النزعة الوحدوية في ديوان اللهب المقدس

المبحث الأول: الوحدة الوطنية

المبحث الثاني: الوحدة المغاربية

المبحث الثالث: الوحدة العربية

مدخل:

من أهم القضايا التي شغلت مفدي زكريا منذ بداية حياته هي قضية توحيد أبناء وطنه وشعوب المغرب العربي والوطن العربي بصفة عامة، فكان يتطلع إلى تحقيقها وتجسيدها على أرض الواقع وهذه الأمنية ليست وليدة اليوم بل قديمة جدا، فالكثير من الأدباء والشعراء تداولوا هذه القضية ومفدي زكريا منهم.

وما يعبر عن تحقيق هذه الوحدة هو شعره الذي لعب دورا مهما خاصة أثناء الثورة المسلحة فكانت أناشيده حاضرة في الإذاعات العربية والمؤتمرات ومن أعماله التي خلد فيها الثورة الجزائرية والنزعة الوحدوية ديوانه "اللهب المقدس" الذي استعمل فيه مفدي زكريا أسلوبا راقيا كرقي تطلعه لاستشراق المستقبل واسترداد الأمل واسترجاع الحق المسلوب، وتشكل قضية الوحدة مرتكزا محوريا في فكره وشعره فقد ظل ينادي بها منذ بواكير إنتاجه الشعري وظل وفيا لهذا المبدأ الذي اعتنقه ودافع عنه في كل مناسبة.

وديوان اللهب المقدس اهتم فيه بالثورة ولعل العنوان يعبر عن ذلك فيقول مفدي "أما الديوان وقع الاتفاق بمحضر جودت وغنيم والعطّار على تسميته (اللهب المقدس) ويضم أربعا وخمسين قطعة، وقد خططت كل عناوينه بأشكال تعبيرية مدهشة".[1]

أما مضمون الديوان فقد استهله بإهداء مجد من خلاله اندلاع ثورة نوفمبر 1954 ثم أتبعه بكلمة قدم فيها ديوانه اللهب المقدس الذي يهتم فيه بالثورة نحو قوله "هو ديوان الثورة الجزائرية بواقعها الصريح، وبطولاتها الأسطورية، وأحداثها الصارخة وهو "شاشة تلفزيون " تبرز إرادة شعب استجاب له القدر".[2]

ويأتي بعد الكلمة رسالة من ابنه سليمان صلاح الدين والذي اختار الكفاح المسلح على مواصلة دراسته، والتي بعثها لوالده يبشره فيها بالتحاقه بجيش التحرير الوطني

[1] – نوارة ولد أحمد، شعرية القصيدة الثورية في "اللهب المقدس"، دار الأمل للطباعة والنشر، 2008، ص 50.

[2] – مفدي زكريا ، اللهب المقدس ،ص7.

فانشد مفدي زكريا قصيدة عنوانها (هكذا يفعل أبناء الجزائر) يحثه فيها على المضي في كفاحه.

ولم ترد في الديوان فصول وأبواب وإنما جاء عبارة عن عناوين كبيرة رئيسية عددها خمسة وهي كالتالي: من أعماق بربروس، تسابيح الخلود، نار ونور، تنبؤات شاعر، من وحي الشرق.

واحتوت هذه العناوين الكبرى على عناوين فرعية يحمل كل منها موضوع قصيدة معينه اختلفت باختلاف الغرض.

وفي الأخير اختتم ديوانه برسالة وجهها الشاعر في أوائل أكتوبر 1961 إلى صديقه شيبوب الأديب التونسي المعروف.

ولغة الديوان جاءت بسيطة تميزت بالصدق الشعري، كما جاءت ألفاظه وعباراته ذات جرس رنان مؤثر وبقدر ما يوضح الفكرة ويبرز عاطفته نجده لا يحفل كثيرا بالمحسنات البديعية إلا ما جاء بشكل عفوي متشبع بالثقافة الإسلامية والشعر العربي القديم، وقد وفق الشاعر إلى حد بعيد في توظيف أدواته الفنية: فجاءت قصائده مجسدة لعظمة ثورة التحرير الوطني التي أوردها في ديوانه الذي حمل صوته النضالي الثوري عن الجزائر المجاهدة، وقد طبع الديوان مرتين الأولى ببيروت والثانية تكلفت بها وزارة الشؤون الدينية عام 1973 وباختصار يمكن أن نلخص مواضيع الديوان فيما يلي:

1 – التغني بالتاريخ البطولات، والأمجاد .

2 – الإشادة بالوطن، وما يزخر به من جمال ساحر.

3 – السخرية بالمستعمر وتحدي بطشه وجبروته .

4 – التشهير بالخونة والعملاء الذين يعينون المستعمر على بني جبلتهم .

5 – التحذير من الاستسلام والانبهار بالوافد من العادات التي تخالف أصالتها ويقول في الاعتزاز بمقومات الأصالة:

"شربت العقيدة حتى الثمالة فسلمت ربي لوجه الجلالة

ولولا الوفاء لإسلامنا لما قرر الشعب يوما مناله

ولولا استقامة أخلاقنا لما اخلص الشعب يوما نضاله

ولولا تحالف شعب ،و رب لما حقق الرب يوما سؤاله

هو الدين يغمر أرواحنا بنور اليقين ويرسي عدالة

إذا الشعب اخلف عهد الإله و خان العقيدة فارقب زواله"[1]

7 – الدعوة إلى الوحدة بكل معانيها، على المستوى الوطني والمغربي والعربي والإسلامي "وقد نص هذه الدعوة في المؤتمر الرابع لطلبة شمال إفريقيا بتونس سنة 1984 في ميثاق سماه " ميثاق التوحيد" وجعله عقيدة في مجموعة بنود منها:

1 – آمنت بالله ربا وبالإسلام دينا، وبالقرآن إماما، وبالكعبة قبلة و بسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم نبيا ورسولا وشمال إفريقيا وطنا واحدا لا يتجزأ.

2– اقسم بوحدانية الله إنني أومن بوحدانية شمال إفريقيا واعمل لها ما دام في قلب خافق، ودم دافق، ونفس عالق.

3 – الإسلام ديننا ــ شمال إفريقيا وطننا ــ العربية لغتنا

4 – لست مسلما ولا مؤمنا ولا عربيا، إذا لم ابذل نفسي ومالي ودمي في سبيل تحرير وطني العزيز (شمال إفريقيا) من أغلال العبودية وإخراجه من ظلمات الجهل والفاقة إلى نور العلم والرفاهية والعيش السعيد."[2]

المبحث الأول: الوحدة الوطنية الجزائرية

[1] – مفدي زكريا ،إلياذة الجزائر ،ص89.

[2] – د. محمد ناصر ، مفدي زكريا ، شاعر النضال و الثورة ،ص90،91.

"يتألف مفهوم الوحدة الوطنية من عنصري الوحدة والوطنية, وأن اندماج هذين العنصرين يشكل هذا المفهوم، فالوحدة تعني تجميع الأشياء المتفرقة في كل واحد مطرد، أما مفهوم الوطنية فقد اختلف فيه الباحثون، فبحسب رأي البعض أن الوطنية هي انتماء الإنسان إلى دولة معينة، يحمل جنسيتها، ويدين بالولاء إليها، على اعتبار أن الدولة ما هي سوى جماعة من الناس تستقر في إقليم محدد وتخضع لحكومة منظمة".[1] فالوحدة تعدد مختلف يتكامل، فلا وحدة بلا تعدد ولا وحدة بلا اختلاف ولا وحدة بلا تكامل. فجسم الإنسان مثلا لا ندركه إلا بتركيب متناسق متكامل لجميع أعضائه. و"الوطنية في الجزائر كانت دوما الصخرة الصماء التي تحطمت عليها عبر تاريخ الجزائر الطويل، المعاصر منه والقديم جميع الأطماع الاستعمارية وكل المؤامرات التي حيكت في السر والعلانية بضرب وحدة الشعب وترابه، والوطنية مثلما يدعي البعض ذلك لم تكن تقوقعا داخل حدود الرقعة الجغرافية الواحدة لهذا الوطن أو انغلاقا على همومه ومشاكله الداخلية اليومية، بل هي في الأساس تعني التشبث بقيم الشعب وأصالته ووحدته، كما تعني الفضاء المغاربي والمشرقي بكل ما يحمل ذلك كله من معنى حيث الروابط المشتركة من دين ولغة وتاريخ ودم و نحوها، وهي في العموم تتجاوز هذه الأطر المغاربية والعربية إلى عوالم أخرى إسلامية وافريقية باعتبار أن هذا الوطن جزء لا يتجزأ من العالم الإسلامي ومن افريقية السمراء".[2]

وقد تجاوب الشعراء الجزائريين مع الثورة التحريرية وأحداثها، فكان الوطن الجزائري عندهم غير مفصول عن الجذور العربية الإسلامية والاستعمار الفرنسي منذ دخوله إلى أرض الجزائر وهي سعي إلى محو مقوماتها وقطع صلتها مع الوطن العربي.

---

[1] – سليمان محمد الطمطاوي ،الوحدة الوطنية ،مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب ،القاهرة ،1974،ص17.

[2] – د. مصطفى بيطام ، الثورة الجزائرية في شعر المغرب العربي 1954–1962 دراسة موضوعية فنية، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر، 1998 ،ص217.

فالثورة الجزائرية كانت الينبوع المتفجر في قصائد اللهب المقدس لمفدي زكريا، أو ليست هي القضية التي وقف عليها شعره وحياته. "فقيل :"شاعر الثورة" وكرسته مختلف الأبحاث بهذا الوصف."[1]

إن بداية شخصية مفدي زكريا وثقافته الأصيلة بحفظ القران الكريم في سن مبكرة، زادته ترسيخا وثباتا بحضور المجالس الدينية والحلقات الوعظية التي كان يعقدها، شيوخ البعثة الطلابية بتونس، إضافة إلى معايشته أحداث الاستعمار الغاشم للقضاء على مقومات الشخصية الجزائرية.

كل ذلك دفعه إلى التشبث بالتراث القديم والافتخار به لأنه يمثل المقومات الأساسية لأمته معتمدا في ذلك على القرآن الكريم والأدب العربي القديم والجدير بالذكر أن ما يميز مفدي زكريا عن غيره من الشعراء اقتباسه من القرآن الكريم الذي يمثل أحد المصادر الأساسية في ثقافته. حيث تأثر بتراكيبه ومعانيه، لذلك نجده يختار اللفظ المناسب للمعنى المناسب وذلك بما للفظة القرآنية من وقع خاص وأثر متميز.

وللقرآن الكريم دقة خاصة في استعمال اللفظة فمثلا لفظة تفور في "قوله تعالى: {إِذَا أُلقوا فيهَا سَمعُوا لَهَا شَهيقاً وَهي تَفُورُ}."[2] ولقد استغل الشاعر الطاقة التعبيرية الدالة على التوازن والانفجار، وهو يعبر عن تأجج الثورة في النفوس وذلك في قصيدته " و قال الله " في قوله:

"وَفي وَاحَتَنَا، ظلٌ ظليلُ تفورُ به، نواعرها حُبابا "[3]

كما نجده يبدع في اقتباسه من القرآن الكريم حين جعل الشهيد أحمد زبانة مثلا في التضحية وتكوين الذات والتحدي، حين يتحدى أهوال المشنقة وغطرسة القائمين عليها ومن بين العبارات التي اعتمد عليها الشاعر في هذه القصيدة "الذبيح الصاعد" عبارة

[1] – عباس بن يحي، دراسات في الشعرية الجزائرية ،دفاتر مخبر ،العدد الأول ،مارس 2009 ،ص32.

[2] – القرآن الكريم، سورة الملك الآية07.

[3] – مفدي زكريا ، اللهب المقدس ،ص35 .

"واقضي يا موت فيما أنت قاضي"[1] المقتبسة من "قوله تعالى: { فاقض ما أنت قاض إنما تَقضي هذه الحَيَاةُ الدُنيَا }[2]." وكذلك في قوله:

"اشنقوني، فلست أخشى حبالا

واصلبوني، فلست أخشى حديدا

"و امتثل سافرا محياك جلا

دي ،و لا تلتثم، فلست حقودا

"و اقضي يا موت في ما أنت قاض

أنا راض إن عاش شعبي سعيدا"[3]

ففي الأبيات نجد الشاعر مفدي زكريا "قد عايش الموقف المهول بكل حاجاته فهذا الإحساس القوي دفع مفدي إلى أن يصور لنا موكب عرس لا مشهد جنازة و قد أحسن في توظيف أدواته الفنية التي تضافرت في خلق هذه الصورة الرائعة التي غرست في نفس المتلقي".[4]

كما نجده متأثرا بالشعر القديم فنجد معظم القصائد الجاهلية حاضرة في شعره في مثل قول عمر بن كلثوم:

إذا بلغ الفطام لنا صبيٌ تخرله الجبابر ساجدينا

فنجد مفدي متأثراً بقول عمر بن كلثوم في قوله:

"و قل : الجزائر ... و أصغ إن ذكر اسمها

تجد الجبابر ساجدين و ركعا !" [5]

و قول المتنبي في شعره :

---

[1] – مفدي زكريا،اللهب المقدس ،ص18.

[2] – القرآن الكريم، سورة طه ، الآية 71–72.

[3] – مفدي زكريا ، اللهب المقدس ،ص18 .

[4] – ينظر محمد ناصر ،مفدي زكريا شاعر النضال والثورة، ص65.

[5] – مفدي زكريا ،اللهب المقدس، ص51.

أنا الذي نظر الأعمى إلى أدبي وأسمعت كلماتي من به صمم

فيقلده مفدي في قوله :

"سمع الأصم رنينها فغنا لها ورأى فيها الأعمى الطريق الأنصعا"[1]

"إن شعر مفدي زكريا بخاصة وهو يعبر عن مأساة شعبه ،واحتلال وطنه وتشريده وإبادة شعبه ،لم يكن يفكر ــ في غربته وأحزانه الملونة بالعذاب والألم ــ في كيان الوطن الجزائري في مفهومه الضيق المنفرد ،منفصلا بأي حال من الأحوال عن قضية التحام هذا الكيان بجذوره العربية الإسلامية بل كانت الدعوة إلى كيان جزائري مستقل في نظره تعني في حقيقتها وبعدها عودة إلى ذلك التاريخ العربي الإسلامي والى ذلك التراث بكل مقوماته والذي حاول الاستعمار بكل الوسائل والطرق القضاء عليه".[2]

وتتجلى دعوة مفدي زكريا أبناء وطنه للوحدة الوطنية في نشيده الوطني "فداء الجزائر روحي ومالي "وقد ألقي عليه القبض لنزعته الوطنية وكتاباته الثورية في 27أوت بتهمة التآمر ضد أمن الدولة." [3] و"هذا النشيد نظمه سنة 1936 لحزب نجمة افريقية الشمالية فهذا النشيد عزز روح الانتماء للوطن بين أبناء الجزائر .

فيقول فيها:

فداء الجزائر روحي و مالي ألا في سبيل الحرية

فليحي (حزب الاستقلال) و (نجم شمال افريقية)

و ليحي شباب الشعب الغالي مثال الفدى و الوطنية

و لتحي الجزائر مثل الهلال و لتحي فيها العربية

سلاما سلاما أرض الجدود سلاما مهد معالينا

[1] – المصدر نفسه، ص52 .

[2] – محمد الصالح الجابري، الوعي القومي والديني عند الشعراء الجزائريين المهاجرين إلى تونس، مجلة الفكر، عدد30،7أفرير 1985 ،ص32.

[3] – محمد ناصر،الشعر الجزائري الحديث (اتجاهاته وخصائصه الفنية 1925 ،1975)،دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان ،1983 ،ص90.

فأنت في الكون دار الخلود غرامك صار لنادينا
فانا حولك مثل الجنود لسان هواك يناجينا
سنرعى حقك مثل الأسود و لو قبضوا بتراقينا
سرى بالروح دم الفاتحين فأذكى فيها معاني الفدا
نخوض الكون مع الخائضين و لا نرتد و لو بالردى
و نعلي الصرخة في الصارخين ننادي : العزة و السؤددا
فلسنا نرضى مع العالمين حياة نبقى بها أعبدا" [1]

ويقول:

"خلقنا بحكم الهوة إخوة قتبت يد كل من فرقا !
نريد حياة لنا حرة كفانا ، كفى من حياة الشقا
خلقنا لهذا الورد سادة و نجم الهدى عندنا أشرقا
بلادي يمينا مقدسة سنرعى عهدك طول البقا"[2]

"لقد امتاز شعر مفدي الوطني بالحماسة والمطالبة الصريحة بالاستقلال،وانطلقت أناشيده النضالية مدوية في أرجاء الجزائر ترسم لشعر الكفاح إرهاصاته ،وقد حمل هذا النشيد مبادئ الحزب الذي ينتمي إليه مفدي، وهو "حزب الشعب الجزائري"(PRA)، ومنها (الإسلام ديننا ،الجزائر بلادنا ،والعربية لغتنا) ومن مبادئه أيضا: "تحيا الجزائر حرة سعيدة تحت دائرة جنسيتها المقدسة".[3]

ويؤكد مفدي من خلال الأبيات السابقة على معاني الأخوة فيتوعد الاستعمار الفرنسي كل من يسعى لتفريق شمل الشعب فنجده يكثر من التكرار ،فيكرر فعل يحي عدة مرات في بداية الأبيات الأولى كما يكرر فعل خلقنا وذلك لتقوية الروح الوطنية

[1] – مفدي زكريا ، اللهب المقدس ،ص89.
[2] –المصدر نفسه ،ص90 .
[3] – يحي بن بهون حاج امحمد ،النزعة الوحدوية في شعر مفدي زكريا ،مجلة أفكار ،عدد 281،الأردن ،ص15.

في نفوس الجزائريين وترسيخها في عقولهم وذلك من خلال بعث الحماسة عن طريق تلك الاعادات التي تثير إيقاعا يناسب الجو الثوري.

ونلاحظ في البيت الأول من القصيدة دلالة على ضمير المتكلم: روحي، مالي ثم ينتقل إلى ضمير المتكلمين (نحن) :"معالينا، يناجينا، خلقنا، نريد، كفانا.."فهذا التحول منت ضمير المتكلم إلى ضمير المتكلمين يجعل الذات تنفتح لتخرج، ذلك أن الأنا جزء من الجماعة، فمن خلال هذا" التداخل يعبر الشاعر عن موقف واحد واستجابة واحدة وثابتة للهم المشترك وهو الهم الوطني في شموليته".[1]

"وفي سجن بربروس في زنزانة رقم 65 يوم 29 نوفمبر (تشرين الثاني) سنة 1938 وفي سنة 1956 صدر الأمر من جبهة التحرير إلى المحكوم عليهم بالإعدام أن يرددوا قبل الصعود للمقصلة نظم قصيدة "نشيد الشهداء "

يقول فيه :

اعصفي يا رياح واقصفي يا رعود

وأثخني يا جراح واحدقي يا قيود

نحن قوم أباه

ليس فينا جبان

قد سئمنا الحياة

في الشقا و الهوان

لا نمل الكفاح لا نمل الجهاد

في سبيل البلاد "[2]

[1] – نوارة ولد أحمد ،شعرية القصيدة الثورية في اللهب المقدس ،ص76.

[2] – مفدي زكريا ،اللهب المقدس ،ص73

وهذا النشيد تردد كثيرا في السجون، فقد كان المعتقلون يجابهون به غطرسة الجلادين وفي 1956 أصدرت جبهة التحرير أمرا بترديده من طرف المعدمين قبل الصعود إلى المقصلة. [1]

فمن خلال الأبيات تظهر وطنية الشاعر الذي يوضح أنه مهما كانت الظروف والمآسي سنبقى امة واحدة لا تمل الكفاح حتى تنال الاستقلال.

ومفدي زكريا يستعير من الطبيعة ما يوحي للثورة كالرياح والرعود ،فهي ألفاظ توحي للوضع الثوري فتصور لنا تلك البشاعة التي ارتكبها الاستعمار.

لذلك فإننا" في النشيد لا نقف على صورة فنية واحدة بالرغم من أن الصورة هي الركن الأساسي في العمل الشعري "[2].

ولعل هذا يرجع لكون الشاعر في موقف خطاب ،هذا ما يجعله الفظ البسيط السهل من أجل شحذ العواطف والأحاسيس.

أما في قصيدة "الذبيح الصاعد "والتي نظمها بسجن بربروس في القاعة التاسعة في المزيغ الثاني من الليل أثناء تنفيذ حكم الإعدام على أول شهيد دشن المقصلة المرحوم احمد زبانا وذلك ليلة 18 جوان 1956

"اشنقوني فلست أخشى حبالا

واصلبوني، فلست أخشى حديدا "

"و امتثل سافرا محياك جلا

دي، ولا تلتثم فلست حقودا "

"و اقض يا موت في ما أنت قاض

أنا راض، إن عاش شعبي سعيدا"

[1] – ينضر يحي بن بهون،النزعة الوحدوية في شعر مفدي زكريا،ص15.

[2] – حواس بري ،شعر مفدي زكريا دراسة وتقويم ،ص251 .

"أنا إن مت، فالجزائر تحيا

حرة مستقلة لن تبيدا"

"قولة ، ردد الزمان صداها

قدسيا، فأحسن الترديدا "[1]

فالشاعر سيتلهم قصيدته هذه من بطولات الشباب الوطنيين والذين من بينهم (أحمد زبانة) الذي أفدى بروحه وطنه وعقيدته، فيحدثنا على لسانه و هو يلقي وصيته عند وداع أصحابه في نداء يهز العوالم. وذلك بلغة هامسة في نغم هادئ حزين فكل لفظة يخرجها الشاعر من ألفاظ القصيدة تتفجر من أعماقه لتصف هذا المشهد.

"فهذه القصيدة تجلت فيها روحه المتفائلة من خلال لغتها وصورها. [2]

"فليس هذا المشهد الحزين المؤثر، مشهد مواجهة الإنسان اللحظات الأخيرة في حياته، هو الذي يحرك العواطف ،ويهز الوجدان في هذه المقطوعة فحسب، بل لأن الشاعر وفق في استخدام الأدوات الفنية التي تضافرت جميعا على تفجير هذه الأحاسيس من أعماق المتلقي، لقد استغل زكرياء كل ما في الألفاظ من طاقة إيحائية، نغما وصورة ومعنى ،فقدم بين أعيننا هذا المشهد المؤثر الذي قلما قرأنا شبيها له في الشعر الثوري الجزائري الحديث ."[3]

لذلك نجده يكرر أسلوب النفي في الأبيات: فلست أخشى حبالا ،فلست أخشى حديدا، فلست حقود، وهي صيغ تدل على الإلحاح والتصدي للمستعمر.

إلى جانب هذه الصورة التي استلهم منها مفدي زكريا شعره، نجده يرثي الأمير عبد القادر وهو رثاء لا نقف فيه على بكاء و إنما نلمس من خلاله دور الأمير ومدى تأثيره في الثورة الجزائرية وذلك" في" قصيدة "يقدس فيك الشعب أعظم قائد" والتي نظمها في

---

[1] – مفدي زكريا ،اللهب المقدس ،ص18.

[2] – محمد ناصر،مفدي زكريا شاعر النضال والثورة ،ص18.

[3] – محمد ناصر ،الشعر الجزائري الحديث ،ص323.

الذكرى الثامنة والسبعون لوفاة القائد البطل المقاوم الأول الأمير عبد القادر الجزائري الشهر ماي (أيار) 1883، 1960 يقول فيها:

يقدس فيك الشعب أعظم قائد همام، له الأجيال تروي و تشهد
حديثك، تتلوه البنادق في الوغى نشيدا، يغنيه الزمان و ينشد
وجيشك ــ عبد القادرــ اليوم ظافر يحطم هامات الطغاة و يحصد
وشعبك مأمون الخطى، متماسك ومغر بك الجبار قطر موحد
فنم في جوار الله ترعاك عينه ويرعاك في دار الخلود (محمد)"[1]

فالأمير عبد القادر كان بطلا مقداما له مواقفه البطولية التي يشهد التاريخ عنها، و يكفيه أنه بطل المقاومة الجزائرية و رائدها و قد ظلت تل المقاومة تتحدد وتتشكل إلى أن صارت ثورة واحدة في كامل ربوع الوطن حتى وضعت الحرب أوزارها و نالت الجزائر استقلالها.

ومفدي زكريا في تذكيره بأبطال الجزائر إبان الثورة التحريرية الكبرى، وتمجيد بطولاتهم إنما يسعى لشحذ النفوس والعواطف للاتحاد لمواجهة العدو.

ونجده" في "قصيدة "شاكر الفضل ليس يعدم شكرا " والتي نظمها في حفل تكريم الأستاذ احمد توفيق المدني بعاصمة الجزائر في شهر يوليو (تموز) 1955 بمناسبة مرور ثلاثين سنة على كفاحه بالجزائر.

فيقول فيها :

نحن في الجزائر، إخوا

ن، جراحاتنا الثخينة (حمرا)

[1] – مفدي زكريا ،اللهب المقدس ،ص149، 150 .

لحمة الضاد و العروبة ،و التا

ريخ و الدين : آى ربك كبرى

و هواها ،و ماؤها،و سماها

و ثراها، الزكي شبرا فشبرا

فاسألوها ...تجبكم من حشاها

صرخات الجدود، تنذر شرا

و تنادي : أليس فيكم رشيد

يدفع اليوم، منكر القول،جهرا

أصلحوا ذات بينكم، و استقيموا

إن فعلتم :سيجعل الله أمرا..." [1]

"ومفدي زكريا من خلال الأبيات يعدد عوامل التوحيد والتضامن بين أبناء الجزائر"[2] وهي اللغة والتاريخ والدين والهواء والماء والسماء والتراب فيرى أن هذه الأصوات المتعالية من القبور لو سألها الجزائري الوفي لأجابته بأجوبة حادة مملوءة بالحسرة والغضب، "منادية بدرأ ذلك الخطر والوقوف في وجهه وإصلاح ذات البين، مما يشكل الوحدة التي يتوقف عليها الانتصار وتحقيق الاستقلال وهو الأمر الذي سيجعله الله مصيرا."[3]

وهكذا" فمفدي زكريا لغلبة النزعة الوطنية عليه، يعالج كل موضوعاته من هذا المنطلق، وينظر إليها من هذه الزاوية، حتى المناسبات الدينية التي يعض الشعراء فيها ينضرون إليها نظرة تقليدية سطحية. لاتتجاوز الإشادة بالمناسبة يتخذها هو فرصة لإثارة الحماسة الوطنية وبث الحمية في النفوس، والنظر إلى الإسلام من جانبه

[1] – مفدي زكريا ، اللهب المقدس،ص 237 ،240.

[2] – مصطفى بيطام ،الثورة الجزائرية في شعر المغرب العربي (1962،1954)،ص 220.

[3] –مصطفى بيطام ،الثورة الجزائرية في شعر المغرب العربي(1954، 1962)،ص 221.

الجهادي، ففي هذه المناسبات الحاشدة تكون النفوس متهيئة لتلقي أمثال هذه المشاعر الوطنية لأنها فرصة للتجمع، والتآزر والتوحد."[1]

وهكذا فمن خلال تلك الشواهد يتضح لنا تعلق مفدي بوطنه فتغنى بالارتباط به والشوق إليه. ولعل خلود قصائده الوطنية الملتهبة الحزينة، يعود في الأساس إلى شحنها بالروح الوفية وتمسكه بالوطنية والدفاع عنها، فهو طالما كان واعيا بمعاناة وآلام وطنه، فلم يغفل عن مصيره لذلك دائما ما كان يدعو باستقلاله مؤكدا على انتمائه له ولأرضه، مهما كانت الظروف فمجد أبناء وطنه الذين ضحوا بحياتهم من أجل الاستقلال فعدهم رمزا للوطنية الحقة.

ويمكن أن نستخلص وحدات لفظية، تدخل في سياق نصه الشعري وهي ألفاظ تدل على حالة الشاعر النفسية التي تحمل سمات الوطنية والدعوة للإتحاد لمواجهة العدو.

الألفاظ الدالة على الوحدة الوطنية

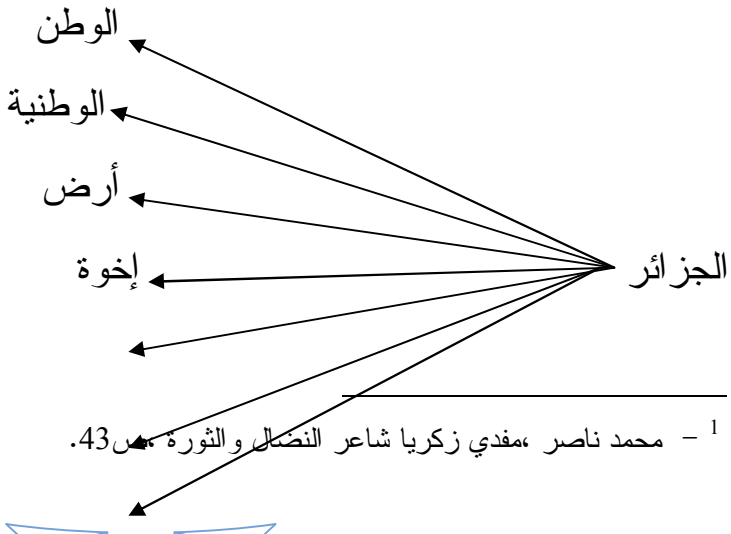

[1] – محمد ناصر ،مفدي زكريا شاعر النضال والثورة ،ص43.

قطر واحد

إخوان

لحمة

بالإضافة لحب مفدي زكريا لوطنه، فطالما جذبته الأحداث العربية وتفاعل معها فدمجها في أشعاره الثورية الحزينة بقضايا وطنه ولعل أهمها قضايا المغرب العربي، وهذا ما نستشفه في المبحث الثاني .

المبحث الثاني: الوحدة المغاربية

منذ القديم وشعوب المغرب العربي الكبير تحلم بلم شملها وتوحيدها فكانت فترة الثورة التحريرية هي الأنسب لتحقيق هذه الغاية، خاصة وأن الاستعمار الفرنسي سعى دائما للقضاء على مقومات شعوب المغرب العربي خاصة الجزائر، ولهذا فان تآزر وتضامن هذه الشعوب إبان الثورة التحريرية، كان اللبنة في بناء صرح المغرب الكبير، لذلك فان قضية الوحدة طالما كانت في طليعة أهداف الزعماء والشعوب منذ القدم، ويعد مفدي زكريا من الأدباء الذين وقفوا بالقلم إلى جانب الثورة التحريرية .

"ولعل أول قضية كانت تشغل فكر مفدي زكريا بعد الثورة الجزائرية هي مشكلة وحدة المغرب العربي. "[1]فطالما دعا أبناء المغرب العربي إلى الوحدة من أجل مجابهة العدو المشترك ومن أجل التحرر، ولم يتوان ولو لحظة واحدة مع أبناء المغرب العربي الكبير في السراء والضراء.

وهو الذي "دعا العرب المغاربة إلى وحدة مغربهم منذ نعومة أظافره وظل كذلك إلى أن صار رجلا له مكانته السياسية والأدبية فتبناه كقضية جوهرية في أعماله الشعرية حتى تجلى بشكل يلفت النظر ويدعو للدراسة."[2]

فنجده يعيش فرحة الشعب التونسي في الاحتفال بالذكرى الرابعة لاستقلاله فينوه بالمناسبة بعظمة الحدث وأهميته، فيقول "في قصيدة "المغرب العربي أنت جناحه" والتي كتبها تخليدا لذكرى الرابعة لعيد الاستقلال تونس 30 مارس (آذار) 1956-1960 .:

يا شعب تونس ،كم لتونس في الفدآ
صفحات مجد خطها الأمجاد

أكرم بها حرية قربانها
يا ــتونس ــ المهجات و الأكباد
و اذكر لأحرار البلاد مواقفا
يسموا بها في الخالدين جهاد
واصعد و خضن يا شعب معركة البنا
فالعز من عرق الجبين يشاد
المغرب العربي أنت جناحه

[1] – حواس بري ،شعر مفدي زكريا دراسة وتقويم ،ص117.
[2] – المرجع نفسه ،ص119.

حرك جناحك يصعد المنطاد

و لتشهد الدنيا هنالك وحدة

جبارة تفتح لها الآباد

شعب الجزائر قام يبني صرحها

بدمائه و الحادثات شداد

أقبل تحيته و بارك حربه

و بفوزه تتجدد الأعياد"[1]

"إن مفدي زكريا من خلال هذه الأبيات ينادي الشعب التونسي ويذكره بان أفراح تونس قد جاءت بعد أمجاد وبطولات كما جاءت بعد معاناة ودماء كما يذكره بضرورة تذكر هذه الأمجاد لذا عليه السير على طريق أبطالها من اجل بناء دولة العز وذلك بخوضه معركة البناء، كما يؤكد على مكانة تونس في المغرب العربي وبأنه ما تزال عليها مسؤوليات في وحدة المغرب، وهي التي وقفت وقفة الرجل الواحد مع الجزائر بعد أن منحتها فرنسا الاستقلال وذلك لكي تتفرغ لقمع الثورة الجزائرية و ذلك بفضل دعاة الوحدة المغاربية ووعي شعبها والتي طالما دعمت الحكومة الجزائرية وشعبها. فالجزائر تعد القلب النابض للمغرب العربي"[2]، مذكرا الشعب التونسي بما يبذله الشعب الجزائري من تضحيات لتحقيق صرح الجزائر وصرح المغرب الكبير.

والشاعر من خلال هذه الأبيات استعمل أسلوب النداء ليحث الشعب التونسي على الإصغاء كما استخدم أفعال الأمر (أكرم، اذكر، اصعد، حرك، أقبل) التي تدل على الحركة وهو ما تتطلبه القصيدة الثورية.

ففي تأملنا لهذه الأفعال نجدها ذات صلة بالتحدي والمجابهة، فالشاعر يقصد منها تحريك الشعور وشحذ الإرادة في النفوس الخاملة.

---

[1] – مفدي زكريا ، اللهب المقدس ،ص147،148 .

[2] – ينظر ،د.مصطفى بيطام ،الثورة الجزائرية في شعر المغرب العربي (1954،1962)،ص231.

كما نجد مفدي زكريا في قصيدة أخرى يدعو أبناء المغرب العربي إلى الوحدة من أجل مجابهة العدو المشترك، فيرى أن الوحدة المغاربية المنشودة ليست مفصولة عن الوحدة العربية الشاملة فيقول في: قصيدة"قالوا نريد" والتي أنشدها بين يدي المغفور له جلالة الملك محمد الخامس يوم إعلان استقلال المغرب وذلك بالقصر العام يوم 17 نوفمبر (تشرين الثاني) 1955 باسم الجزائر الثائرة:

نصبوا العصي على الحدود سفاهة

و سعوا إلى توزيعه لضرار

و المغرب العربي، شعب واحد

ملئ العروق ، دم العروبة جارى

للشرق لا للغرب و لى وجهه

فغدا له سند الخوص عمار

ما بالهم يتصدقون؟ كأننا

نرضى، من الأسلاب بالأشطار!

لا نقبل الصدقات كلا إننا

طلاب حق، لا سماسر عار !

لا شيء إلا وحدة عربية

جبارة في المغرب الجبار! "[1]

"فمفدي من خلال هذه الأبيات يذكر محمد الخامس ملك المغرب بمواثيق الجهاد بين الإخوة الأشقاء."[2]

فالأسلاك الشائكة المزودة بالطاقة الكهربائية، وزرع الألغام الفتاكة المجاورة لها ليست في ضمير أبناء المغرب العربي الكبير، سوى عصي تافهة نصبها المحتل لإيهام سكان

[1] – مفدي زكريا ،اللهب المقدس ،،ص100،101 .

[2] –يحي بن بهون ،النزعة الوحدوية في شعر مفدي زكريا ،(مجلة أفكار) ،ص 19.

المنطقة بأن هناك فواصلا وحدودا بين أبناء القطعة الواسعة الأرجاء الواحدة الموحدة في شتى الميادين والأعراف و القيم .فمفدي هنا يطمس هذه الحدود بين دول المغرب العربي وذلك للشعور بالأخوة المحضة.

ومن خلال هذه الأبيات نجد" أن العدول في اللغة يوضح سمة التأكيد و الإلحاح على الوحدة العربية في منطقة المغرب العربي"[1] بل إننا نجده يسعى بعيدا فكأنه الناطق الرسمي الذي خوله كل ثوري ليقول عنه قناعه و يؤكد:

لا نقبل الصدقات ،كلا إننا طلاب حق ،لا سماسر عار !

لا شيء إلا وحدة عربية جبارة، في المغرب الجبار ![2]

فهذه الأبيات تنبض بإرادة تطالب باسترداد حقها وذلك باستخدام أسلوب النفي الذي يزوده بالثقة في النفس فيقابل العدو الغاشم بالرفض والتحدي، كما أن هذا الأسلوب يكشف توتر الشاعر وانفعاله خاصة في ظل هذه الأوضاع.

كما نجد مفدي زكريا في أبيات أخرى من" قصيدة" جلالك يا عيد الرئاسة رائع "و هي قصيدة قيلت في مهرجان الذكرى الثالثة لعيد الجمهورية التونسية يوم 25 جويلية (تموز) سنة 1960:

وفي المغرب الجبار، شعب مكافح تسانده الدنيا، وتسمو به الحرب!

على خافقيه : تونس ومراكش تحاول تحليقا، فيثقلها الخطب !

جناحان في صقر تصدع قلبه و كيف يطير الصقر ليس له قلب!

جزائر ... حررت الشعوب و لم تزل بأرضك للتحرير، يحتدم الكرب !"[3]

[1] – نوارة ولد احمد شعرية القصيدة الثورية "في اللهب المقدس " ،ص65.

[2] – مفدي زكريا اللهب المقدس ،ص101 .

[3] – مفدي زكريا، اللهب المقدس،ص155-156 .

فمن خلال الأبيات يرى مفدي زكريا أن استقلال الجزائر هو الحل الأمثل لقيام وحدة مغربية.فنجده مجيدا في تصويره المغرب العربي يطير سليم الجناحين متصدع القلب هذا كله ليبين قيمة الجزائر ومكانتها في قيام وحدة مغربية.

فدعوته الناس إلى الوحدة المغاربية جعله يتمسك بكل خيط يوصله إلى تحقيقها لهذا نجده يأسف على رحيل محمد الخامس ملك المغرب، وذلك لما انتظره منه فيما يخص وحدة الشمال الإفريقي واستقلال الجزائر فيقول "في قصيدة: "بنيت بروح شعبك عرش ملك" :

إلى م تظل تلسعنا الجراح ؟؟

وفيما تبيت ،تنهشنا الرماح ؟؟

وهل في المغرب العربي يوما

سينقطع التوجع و النواح ؟؟

وهل من بعد ضائقة و عسر

بما قد نشتهي ... تجري الرياح ؟؟

لنا في كل زاوية نحيب

لنا في كل حادثة صياح ؟ "[1]

فالأبيات رثاء للمغفور له جلالة الملك محمد الخامس يظهر فيها مفدي زكريا متأثرا بخسارة رجل عرف بمواقفه البطولية و الصارمة كما يأسف لما يلحق المغرب العربي من مصائب و المتمثلة في فقدان هذا الرجل .

وهكذا فإن ما يعزي مفدي زكريا هو إيمانه بهذه الوحدة وهو الذي دعا إليها منذ الصغر في "قصيدة "هنيئا بني أمي" *

وفي المغرب الجبار، ناشدت وحدة

[1] – المصدر نفسه ،ص183.

* – تهنئة الجزائر الثائرة المغرب الشقيق ملكا و حكومة و شعبا بمناسبة الذكرى السادسة لإعلان استقلاله يوم 18 نوفمبر (تشرين الثاني) 1955، 1956 .

سبقت بها ــ في فجر عمري ــ ** أقراني

وأحببت أوطاني رضيعا و لم أزل

أغني مع الدنيا، بأمجاد أوطاني

وهمت بأبناء العروبة، يافعا

أرى كل أبناء العروبة، إخواني"[1]

وهكذا فإن الشاعر يؤكد على عقيدته الوحدوية التي رسخت في ذهنه منذ نعومة أظافره وحبه لأبناء الوطن المغربي الكبير والعربي. وهكذا فإننا نحسب أن مفدي زكريا قد تبنى الدعوة إلى قضية من أعظم القضايا المصيرية لأبناء المغرب العربي وهذه في حد ذاتها خطوة إلى وحدة الأمة العربية.[2]

والتي توضحت من خلال تلك الشواهد التي بينت إيمان مفدي زكريا بتلك الوحدة كما تبين أن شعوب المغرب العربي دائما ما كانت تسعى لتحقيقها خاصة بعد اندلاع ثورة التحرير الجزائرية، ذلك أن هذه القصائد قد أيقظت نفوس الشباب وضمائرهم لتدافع عن أوطانها فكانت ثورة الجزائر من أعظم تلك الثورات.

وكختام للمبحث هذا مخطط لأهم الألفاظ التي جاءت محملة بدلالات تحمل معاني الوحدة المغاربية .

الألفاظ الدالة على الوحدة العربية

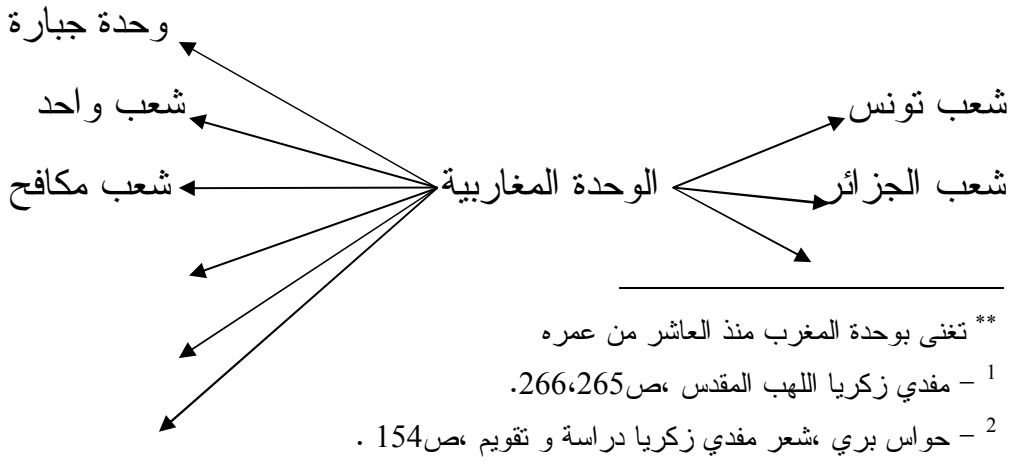

** تغنى بوحدة المغرب منذ العاشر من عمره

[1] – مفدي زكريا اللهب المقدس ،ص265،266.

[2] – حواس بري ،شعر مفدي زكريا دراسة و تقويم ،ص154 .

شعب المغرب أبناء العروبة

وحدة عربية

المغرب الجبار

بالإضافة إلى دعوة مفدي زكريا للوحدة المغاربية فإنه طالما عاش مأساة كل الأقطار العربية وتعايش معها. فكانت أحزان العلم العربي حاضرة في أشعاره ،هذا ما دفعه في كثير من الأحيان للدعوة للوحدة العربية ليكون الحزن واحد والفرح واحد وهذا ما نجده في المبحث.

المبحث الثالث: الوحدة العربية

"إن البعد العربي للثورة الجزائرية مثل البعد الوطني والمغاربي والإسلامي وسواها من الأبعاد الأخرى، عريق عراقة الشعب الجزائري أصيل أصالة محتدة، ومن ثمة كانت أحاسيس المشاعر القائمة على تمجيد ماضي العرب والتعلق بالعروبة يعكس شعوره بها منذ القديم، وليست حديثة العهد عن الجزائر المناضلة ولا نحن اقل شوقا من إخواننا العرب إليها.

لقد سبق للجزائر من السير في طريقها خطوات دامية، فما على الركب العربي إلا أن يواصل الخطى، فالوحدة هي الستار الوحيد الذي يجعل حدا للروايات البوليسية والمغامرات الاستعمارية التي لم ينزل وطننا العربي مسرحا لها."[1]

إن ثورة الجزائر حملت في طياتها معاني الثأر للعروبة فكان من أسباب قيامها مجابهة القطيعة التي فرضها الاستعمار بين العرب، فحققت بذلك نجاحا في إحياء العروبة الضائعة. وهكذا فإن مفدي زكريا قد أبدى اهتماما كبيرا بالقضايا العربية، فرغم ظروف الجزائر آنذاك فهو لم يهمل القضايا العربية ، فتحفظ بذلك على قوميته العربية التي يعتز بها" فكان سفيرا للقضية الجزائرية في المشرق العربي حيث حل وارتحل، كما كان من الساعي إلى توحيد الجهود العربية لنصرة الأوطان المظلومة ومؤازرتها حتى تنال استقلالها فاضحا ألاعيب المستعمرين ودسائسهم، كيف لا وقد خبرهم وعرب ماضيهم و حاضرهم."[2]

فمفدي زكريا في" قصيدة" تعطلت لغة الكلام" والتي نظمها بسجن بربروس (القاعة التاسعة) في فيفري (شباط) 1957 بمناسبة خذلان المنظمة الدولية لقضية الجزائر في دورتها الثالثة عشرة:

يا أمة العرب الكرام، كرامة ... لك في الجزائر، حرمة و ذمام

في كل أرض للعروبة، عندنا ... رحم تشابك، عندها الأرحام

إن صاح في أرض الجزائر صائح ... لبته مصر، و أدركته شآم

في المغرب العربي ،عرقا نابض ... يذكيه في (حرب الخلاص) ضرام

عن العروبة في حمى استقلالنا ... أيطير (مقصوص الجناح) حمام ؟"[3]

---

[1] –د – مصطفى بيطام ، الثورة الجزائرية في شعر المغرب العربي (1954–1952) ،ص248.

[2] – يحي بن بهون، النزعة الوحدوية في شعر مفدي زكريا ،مجلة أفكار ،ص19 .

[3] – مفدي زكريا ، اللهب المقدس ،ص47 .

فيظهر من خلال هذه الأبيات نظرة الشاعر وحميميته اتجاه أمة العرب مصورا حنينه للعروبة وذلك التجاوب بين الجزائر وباقي أقطار الأمة العربية، "مؤكدا على ضرورة الدفاع المشترك بين أبناء الوطن العربي، ذلك أن عز العروبة لا يكتمل إلا باستقلال الجزائر، وأن أي نصر دونها يعد ناقصا."[1]

وهكذا فإن أشعار مفدي كريا تدل دلالة واضحة على أنه لا يفصل بين معاناة بلاده ومأساة الأمة العربي، كيف ينسى وهو العربي الأصيل لحما ودما ونسبا، والتي حاولت فرنسا دائما أن تضرب سدا منيعا بينه وبين إخوته العرب، وتفصله عن أرضه وانحداره لكنها خسئت، فهي لم تفلح في القضاء على قوميته ولغته وإسلامه. لذلك لقي العذاب الكبير والألم الشديد وما بدل رأيه وموقفه تبديلا.

فالعروبة في نظر مفدي زكريا هي الأم فالجزائر والشام الشجرة ومصر والعراق وسائر بلاد العرب هي أغصانها المتعانقة بحكم وحدة التاريخ والمصير والنضال المشترك ضد الاستعمار ومن قبل ضد الصليبيين ووحدة الدين واللغة والثقافة والتطلع إلى غد أكثر إشراقا وحرية وعدلا وأمنا.

ومن ثم يعد مفدي زكريا من أصدق دعاة الوحدة العربية، إذ ترتسم في أشعاره الوطنية وحدة واحدة لا تتجزأ من الخليج إلى المحيط وحدة جديرة بالتضحية والدفاع عنها وصونها وصون كيانها، فمفدي زكريا يستحق وصفه بالمدافع الصلب عن الوحدة العربية وهذا ليس فقط من خلال ما يتجلى في قصائده وإنما لما بذله في سبيل مبدئه القومي. فكانت أفعاله تعبيرا عن أقواله فكان الثمن حريته، إذا زج في الكثير من الأحيان في السجون لكنه لم يجزع أو تخر عزيمته، وإنما زاده التعذيب والاضطهاد إيمانا بحرية وطنه وعروبته.

[1] – الوناس شعباني ،تطور الشعر الجزائري منذ سنة 1995 حتى سنة1980،ص 103 .

فيقول في"" قصيدة "اقرأ كتابك" والتي نظمها بعقر زنزانة رقم 375 بسجن البرواقية بمناسبة الذكرى الرابعة للثورة التحريرية الجزائرية يوم فاتح نوفمبر (تشرين الثاني) 1958 وألقيت بالنيابة في (صوت العرب) بالقاهرة يقول فيها:

وتعمدوا قطع الطريق، فلم ترد أسبابه ، بالعرب أن تتقطعا ...
نسب، بدنيا العرب زكى غرسه الم،فأورق دوحه وتفرعا
سبب، بأوتار القلوب ،عروقه إن رنّ هذا ، رنّ ذاك،ورجّعا
إما تنهد بالجزائر موجع آسى الشآم جراحه ، و توجّعا
واهتز في أرض الكنانة خافق و أقضّ في أرض العراق المضجعا
وارتج في(الخضراء) شعب ماجد لم تثنه أرزاؤه أن يفزعا
وهوت مراكش حوله، وتألمت لبـــ نان، و استعدى جديس و تبّعا
تلك العروبة إن تثر أعصابها وهن الزمان حيالها و تضعضعا ّ!!
الضاد في الأجيال، خلّد مجدها والجرح ،وحدّ في هواها المنزعا
فتما سكت بالشرق وحدة أبية عربية، وحدت بمصر المرتفعا
و لمصر دار للعروبة، حرة تأوي الكرام، و تسند المتطلعا" [1]

إن مفدي زكريا يعد في طليعة العلماء والأدباء في عصره، فقد كانت له دراية عميقة بالتاريخ العربي الإسلامي الذي جعل شعوب المشرق والمغرب نسيجا واحدا الانفصام له. ومفدي زكريا ينظم البلدان العربية مشرقا ومغربا في سلك واحد ويشير "إلى أن الأعداء حاولوا ــ عمدا ــ أن يفصلوا بين الجزائر والعروبة ولكنهم لم يجنوا من ذلك ثمرة"[2] مبنيا تجاوب هذه البلدان مع الجزائر الثائرة في محنتها وابتلائها بالاستعمار وكفاحها الطويل في سبيل استرجاع حريتها، وكان هذا التجاوب من خلال مد المعونة ومناصرتها، واستضافة أبنائها غير القادرين على حمل السلاح والذين طردهم

[1] – مفدي زكريا ، اللهب المقدس ،ص53,51،54.

[2] – د. مصطفى بيطام ،الثورة الجزائرية في شعر المغرب العربي 1954–1952 ، ص252.

الاستعمار الغاشم. ونجد في الأبيات ذكر (للخضراء) والتي يقصد بها تونس ذلك أن اسمها دائما ما قرن بهذا المصطلح وذلك لجمال طبيعتها.

كما تظهر من خلال الأبيات أن العلاقات المصرية الجزائرية قد طبعت بنوع من الخصوصية وذلك لأسباب عدة أهمها: أن مصر كانت ملاذا للوطنيين الأحرار قبل اندلاع الحرب وبعدها، وقد احتضنت الحكومة الجزائرية المؤقتة منذ إن تم تشكيلها في نوفمبر 1954 إلى أن انتقلت إلى تونس في 1956 نظرا لقربها من الجزائر كما احتضنت (إذاعة القاهرة) برنامج "صوت العرب" وقدمت برامج خاصة للتعريف بالقضية الجزائرية والترويج لها، وكان معظمها من تنشيط صحفيين جزائريين "وقد كانت القومية العربية تنعش أواصر ذلك التآخي والتعاون. فقد وجدت فكرة القومية بمصر الأرض الخصبة التي رعت ذلك النبات حتى استوى على سوقه فاستغلظ"[1]. والأبيات الثلاثة الأخيرة تأكيد على ذلك .

والأبيات لوحة تشكيلية آية في البراعة الفنية من حيث الصياغة والموسيقى وتمتاز بحركة رفافة التي تثير في النفس الشجي. وتتجلى هذه الحركة في استعمال الأفعال التي تصدر من حقل دلالي واحد (رنّ ، رجّع ، تنهد ، اهتز ، ارتج ، هوت) ويرجع اختيار الشاعر لهذه الأفعال لا لتأكيد معناها الأخير و تقويته فقط، وإنما لما تحدثه من رنين ينبأ عن انتشار ثورة الجزائر في العالم العربي، وصوتها الجهير في كل أجواء ووقع أناتها على القلوب و إيقاع الأسلحة في كل الأسماع وتكبيرات المؤذنين من أعلى المساجد إذا كبر الثوار أو صرخات المعذبين في السجون إذا ألهبت ظهورهم من اثر سياط الطغاة .

"إما تنهد بالجزائر موجع ...

آسى (الشآم) جراحه و توجعّا !"[2]

[1] – يحي بن بهون ،النزعة الوحدوية في شعر مفدي زكريا، مجلة أفكار ،ص20 .

[2] – مفدي زكريا ، اللهب المقدس ،ص53 .

وما يلاحظ في شعر مفدي زكريا تكريره لاسم الجزائر وثورتها سواءا في هذه القصيدة أو في سائر أشعاره، شأنه في ذلك شأن العشاق الذي يتلذذون بذكر أسماء حبيباتهم أو مواطنهم وتعبيرهم عن حبهم لها.

كما تظهر صلة المغرب العربي بالمشرق العربي في إطار الوحدة العربية التي طالما كافحت الجزائر لتحقيقها في "قصيدة" على عهد العروبة سوف نبقى" والتي ارتجلها الشاعر بين أقداح الشاي في حفل أقيم بالدار البيضاء لتكريم وفود الدول العربية التي أتت المغرب لتهنئة الشعب والملك بعيد الاستقلال 27(تشرين الثاني) 1955

فيقول في مطلعها:

سل الفصحى و قل الضاد رفقا ...

لسان الحال أفصح منك نطقا" [1]

فمفدي زكريا من خلال هذا البيت يشيد بلغة العرب والتي يعتبرها ابرز عوامل التوحد بين هذه الشعور الناطقة بها. لذلك كان من الضرورة الحفاظ عليها لتقوي روابط الأخوة بينها .

ويقول:

بلاد المغرب العربي ،(شرق)

و كانت قبلة العربي ،شرقا

فيحو في بني بغداد، شعبا

زكا في الخالدين ،و طاب عرقا

و حيوا مصر، موطن كل حر

و حيوا في أمجادها دمشقا

رسول الشرق ،قل للشرق أنّا

[1] – المصدر نفسه،ص.103 .

فاعهد العروبة سوف نبقى

و إنا في الجزائر شعب عز

عروبته صدى الأجيال وثقى

و إن "الوحدة الكبرى " إذا ما

تحررت الجزائر سوق تبقى ."..[1]

فمفدي زكريا من خلال الأبيات يعزز أواصر الأخوة والتعاون بين الأخوة العرب فهو دائما ظل وفيا للوحدة العربية ذلك أن سبيل الخلاص "الوحدة الكبرى"

إلا أن مفدي زكريا "تئن روحه لحال فلسطين الجريحة"[2] واعتبر العدوان عليها اعتداء على العروبة لذلك كان ضياعها مسؤولية كل عربي.

وقد نظم قصيدة بعنوان" فلسطين في الصليب "هي وحوار بين الشاعر وفلسطين والعرب بمناسبة الذكرى 13 لتقييم فلسطين.

ويستهل الشاعر القصيدة بنداء موجع يثير كل من يقرأه وبروح تمزقها الأحزان فيقول:

"أناديك في الصرصر العاتية

وبين قواصفها الذارية

وادعوك ،بين أزير الوغى

وبين جماجمها الجاثية

واذكر جرحك، في حربنا

وفي ثورة المغرب القانية

فلسطين يا مهبط الأنبيآ

و يا قبلة العرب الثانية

و يا حجة الله في أرضه

[1] – مفدي زكريا ،اللهب المقدس ،ص104،105 .

[2] – يحي بن بهون ،النزعة الوحدوية في شعر مفدي زكريا ،ص22 .

و ياهبة الأزل، السامية."[1]

فمفدي زكريا من خلال الأبيات يحث على الجهاد و ضم الصفوف لمحاربة الاستعمار.

"وتستمر القصيدة على هذا النسق مستعرضة واقع فلسطين المؤلم و العرب في سكرة لا صحوة لهم منها، وأبناء صهيون يمرحون ويعربدون ويعبثون بمقدساتها وبمحارمها كما يحلوا لهم" [2].

ويستمر الشاعر على تسليط الضوء على ما وصلت إليه فلسطين فيتحدث على لسانها:

"أيا شاعر العرب، ذكرتني

وهجت جراحاتي الداميه

لقد كان لي سبب للبقآ

فقطع قومي ، أسبابيه

و رحت، أباع و أشرى كما

تباع لجزارها ، الماشية

و أشنق في حبل مستعمري

و أصلب في كف جلاديه

و يسلبني عزتي ،غاصبي

و تنهب داري ،قطاعيه

وفرقني (الحلف) أيدي سبا

وشتت في الأرض، أوصاليه

فأصبحت ارسف في محنتي

و قومي ــ عن محنتي ــ لاهيه

و في سكرة، ضيعوا عزتي

[1] – مفدي زكريا ،اللهب المقدس ،ص279 .

[2] – مصطفى بيطام ، الثورة الجزائرية في شعر المغرب العربي 1954–1962) ،ص260.

و لم يغن عني سلطانيه "[1]

فمن خلال هذه الأبيات يكشف لنا مفدي زكريا أسباب المحنة الفلسطينية والتي كان للعرب الحظ الكبير والأوفر فيها، ذلك أن تخاذلهم هو الذي أدى بضياعها وتركها فريسة للصهاينة يقتلونها ويمزقونها.

ومن هنا كان رد العرب :

"وقال ابن يعرب، لما تيقــ

ظ ــ : لم أدر ــ من سكرتي ــ ماهيه ؟

ولم أتفطن (لثالوثها)*

ولم أدر ــ من غفوتي ــ ماهيه ؟

فلم تجد في صدها

ولم يفدني ــ في القضا ــ ماليه

وفوضت أمري للحاكمين

فضيع قدسي، حكّاميه "[2]

فيوضح مفدي من خلال هذه الأبيات تظاهر العرب بالأسى وحسرتهم وادعائهم بعدم معرفتهم لتلك المؤامرات والخدائع التي تحاك ضد فلسطين، وأن ضياع أرض القدس يرجع للحكام العرب وخيانتهم الكبرى أدى لذلك الوضع. والقصيدة طويلة ضمت تسعين بيتا، وفي نهايتها دعوة للعرب من أجل الإتحاد للدفاع عن الوطن العربي وتداركا لما أصابه وتفاؤلا بالنصر بشرط أن يعتصم العرب جميعا بحبل الله ولا يتفرقوا فهو يعد بنصر من ينصره، ولن يخلف وعده ولا شك أن ساعة النصر قريبة لا محالة فيقول في آخر القصيدة:

---

[1] – مفدي زكريا ، اللهب المقدس ، ص281 .

* – الاعتداء الثلاثي للقتال

[2] – مفدي زكريا ، اللهب المقدس ، ص282 .

"فمدوا يدا، نجم أوطاننا

و ننقذ حمانا، من الهاوية

فإن تتصروا الله ينصركم

و ينجز أمانيكم الغالية

وطن يخلف ،الله ميعاده

ولا ريب ... ساعتنا آتية !"[1]

وهكذا فإن هذه النماذج من شعر مفدي زكريا تكشف لنا حنينه للعروبة فنجده يشيد بوحدة الأمة العربية التي تجمعها عوامل الدين واللسان والتاريخ والآلام والآمال كما تظهر تطلعه إلى وحدة عربية شاملة والتي تكون أساسها تحرير فلسطين.

وأخرج في الأخير بأهم الدلالات التي حملت معاني الوحدة العربية.

الألفاظ الدالة على الوحدة العربية

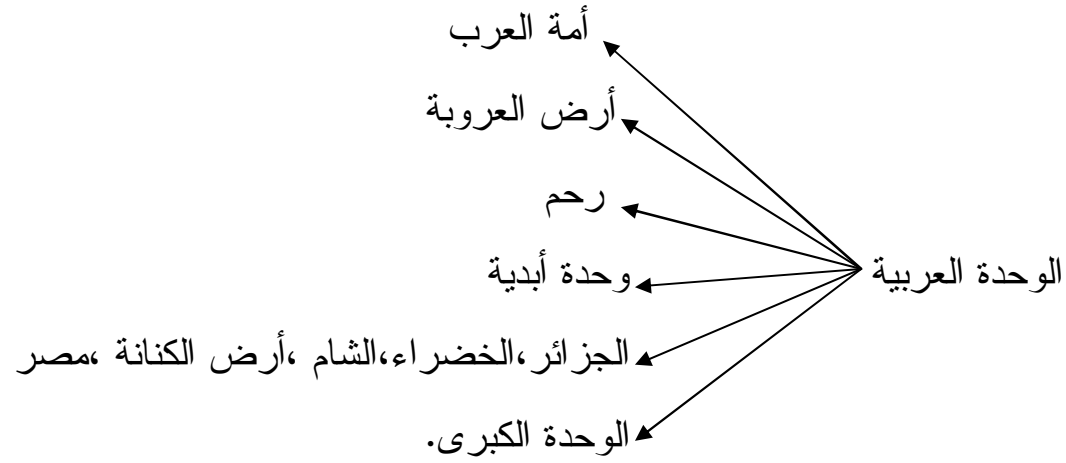

[1] – مفدي زكريا ، اللهب المقدس ،ص287–288.

خاتمة

خاتمة

هذا هو شاعر الثورة "مفدي زكريا" الذي أحب الجزائر حتى النخاع فلم يكف عن العطاء لأجل هذه الأرض الطيبة المسقية بدماء الشهداء الطاهرة ،حيث أن شعره كان بمثابة لسان الثورة التي يعبر عنها ويشرح مبادئها ويواكب تطوراتها ،فعبر عن آماله وآلامه فكان وثيقة تؤرخ لحياة المغرب الكبير والوطن العربي .

فهو شاعر عايش الأحداث واكتوى بنار الثورة ،فكان شعره يحمل كل خفقة من خفقات قلبه ،فكان بذالك مواطنا مخلصا لوطنه والوطن العربي بأكمله فطالما كان وفيا لعقيدته الوحدوية حتى آخر أيام حياته.

وبعد سرد ماورد في فصول البحث الخاص بالنزعة الوحدوية نخلص إلى النتائج التالية:

ــ يظهر لنا أن مفدي زكريا من خلال مراحل حياته كان في شخصه وشعره أصدق وأنبل مؤرخ للثورة التحريرية المجيدة خصوصا وأنه عاش الأحداث ليكون بذلك مرجعا أساسيا يجب الاعتماد عليه، فالثورة في شعره ليست موضوعا بقدر ماهي موقف يقفه الشاعر من مختلف القضايا وطابع خاص يطبع به شعره ،وإن كانت القضايا في مجملها قضايا وطنية ولكن الغرض الذي يعبر فيه الشاعر عن ثوريته ليس دائما يسمى بغرض الشعر الوطني،بل تظهر نزعته حتى في أغراض أخرى.

ــ مفدي زكريا من وراء القضبان كان شاعرا ومناضلا فالسجن لم يقلل من عزيمته ،بل كان رمزا من رموز إبداعه ،نظم فيه أحسن روائعه فكان طاقة استلهم منه شعره. فجاهد بالقلم والكلمة المؤثرة لحمل الجزائريين على الكفاح ومقاومة العدو في أشعار تتقد بنار حرارة الثورة .

ــ أسهم مفدي بشعره ونضاله لإبراز الوجه المشرف لوطنه الذي أحبه حتى النخاع فخدمه بكل ماأوتي من قوة فكرية وإبداعية، وكذلك لأمته العربية من خلال إشادته بمقومات الحضارة العربية الإسلامية .

ــ حمل ديوانه اللهب المقدس قصائد أقل ما يقال عنها رائعة صورت لنا معاناة الشعب الجزائري ،وكان للمغرب الكبير والمشرق العربي نصيب في ديوانه ،فنفس الشاعر مفعمة بالقومية العربية ،فتعلق بالأقطار العربية فكتب عنها وعن فضلها في مساعدة الجزائر إبان الثورة التحريرية.

ــ شكلت قضية الوحدة مرتكزا محوريا في شعره ،خاصة في ديوانه اللهب المقدس فنادى بها من بواكير إنتاجه الشعري فظل وفيا لهذا المبدأ الذي اعتنقه ودافع عنه في كل فرصة أتيحت له.

وهكذا يكون مفدي زكريا قد دعا بصدق لوحدة وطنية ومغربية وعربية ،فاضحا ألاعيب الاستعمار الذي سعى لتفريق شمل الجزائريين والعرب فكان لشعره دور كبير في تعزيز انتمائه لوطنه وأمته العربية.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

أ ــ المصادر

ــ القرآن الكريم

2ــ مفدي زكريا ،اللهب المقدس ،المؤسِسة الوطنية للفنون المطبعية ، الجزائر ، 2009.

3ــ مفدي زكريا ،إلياذة الجزائر المؤسسة الوطنية للكتاب ،الجزائر،1987.

ب ــ المراجع

4ــ أحمد دوغان ،في الأدب الجزائري الحديث ــ دراسةــ منشورات اتحاد الكتاب العربي ،دمشق،1996،ط1.

5 ــ أحمد شرفي الرفاعي ،الشعر الوطني الجزائري منذ سنة 1925الى سنة1954 دار الهدى ،الجزائر ،2010.

6 ــ الوناس شعباني،تطور الشعر الجزائري منذ سنة 1945حتى سنة 1980 ، ديوان المطبوعات الجامعية ،الجزائر.

7ــ بلحيا الطاهر ،تأملات في إلياذة الجزائر لمفدي زكريا،المؤسسة الوطنية للكتاب.

8ــ حواس بري ،شعر مفدي زكريا ــدراسة وتقويم ــ ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1994.

9ــ سليمان محمد الطمطاوي ،الوحدة الوطنية ،مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة،1974.

10ــ عبد الله ركيبي ،الشعر ....في زمن الحرية (دراسات أدبية ونقدية)،دار الكتاب العربي.

11ــ عبد الله ركيبي ،دراسات في الشعر العربي الجزائري الحديث ،تقديم صالح جودت ،دار الكتاب العربي،الجزائر ،2009.

12ــ علي خذري ،دراسات في الأدب الجزائري الحديث ،نقد الشعر (مقاربة لأوليات النقد الجزائري الحديث)،1989.

13ــ عمر أحدد بوقرورة ،في الشعر الجزائري المعاصر ــالشعر وسياق المتغير الحضاري ــدار الهدى ،الجزائر.

14ــ عمر بن قينة ،في الأدب الجزائري الحديث تاريخا وأنواعا وقضايا وأعلاما، ديوان المطبوعات الجامعية ،الجزائر،1995.

15ــ محمد الهادي السنوسي ،شعراء الجزائر في العصر الحاضر ،مطبعة النهضة،تونس ،1926،ج1.

16ــ محمد الطمار ،تاريخ الأدب الجزائري ــتقديم ،أ.د.عبد الجليل مرتاض،ديوان المطبوعات الجامعية ،الجزائر ،2006.

17ــ محمد ناصر ،الشعر الجزائري الحديث(اتجاهاته وخصائصه الفنية 1925,1975)،دار الغرب الإسلامي ،بيروت ،لبنان،1983.

18ــ محمد ناصر ، مفدي زكريا، شاعر النضال والثورة ، جمعية التراث،غرداية، ط2.

19ــ محفوظ كحوال ، من أروع قصائد مفدي زكريا ــمع دراسة أدبيةــ،نوميديا للطباعة والنشر والتوزيع .

20ــ مصطفى بيطام ،الثورة الجزائرية في شعر المغرب العربي (1954،1962)ــدراسة موضوعية فنية ،ديوان المطبوعات الجامعية ،الجزائر، 1989.

21ــ نسيب نشاوي،مدخل إلى دراسة المدارس الأدبية في الشعر العربي المعاصر، ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر،1984.

22ــ نوارة ولد أحمد، شعرية القصيدة الثورية في اللهب المقدس ،دار الأمل للطباعة والنشر ،2008.

ج ــ المجلات والدوريات

23ــ عباس بن يحي، دراسات في الشعرية الجزائرية ،مجلة دفاتر مخبر ،العدد الأول ،مارس 2009.

24ــ محمد الصالح الجابري ،الوعي القومي والديني عند الشعراء الجزائريين المهاجرين إلى تونس ،مجلة الفكر ،عدد 30 ، 7 أفريل 1985.

25ــ يحي بن بهون حاج أمحمد النزعة الوحدوية في شعر مفدي زكريا ،مجلة أفكار ،العدد 281،الأردن.

الملحق

ملحق خاص بالقصائد الدالة على الوحدة

الوحدة الوطنية:

عنوان القصيدة	سنة نظمها
فداء الجزائر روحي ومالي	1936
نشيد الشهداء	29 نوفمبر 1938
الذبيح الصاعد	18 جوان 1956
يقدس فيك الشعب أعظم قائد	1960
شاكر الفضل ليس يعدم شكرا	يوليو 1955

الوحدة المغاربية:

عنوان القصيدة	سنة نظمها
المغرب العربي أنت جناحه	30 مارس 1956–1960
قالوا نريد	17 نوفمبر 1955
جلالك يا عيد الرئاسة رائع	25 جويلية 1960
بنيت بروح شعبك عرش ملك	
هنيئا بني أمي	

الوحدة العربية:

عنوان القصيدة	سنة نظمها
تعطلت لغة الكلام	فيفري 1957
إقرأ كتابك	01 نوفمبر 1958
على عهد العروبة سوف نبقى	27 تشرين الثاني 1955
فلسطين في الصليب	

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
مقدمة.....	**أ،ب،ج**
الفصل التمهيدي.....	**04**
1/ لمحة عن شعر الإصلاح والنضال والثورة.....	**10-05**
2/ نبذة عن حياة الشاعر.....	**18-10**
الفصل الأول: إسهامات مفدي زكرياء السياسية والأدبية	**19**
مدخل.....	**20**
المبحث الأول: نشاطه السياسي.....	**25-21**
المبحث الثاني: نشاطه الفكري.....	**31-26**
المبحث الثالث: شعره الثوري	**38-32**
الفصل الثاني: النزعة الوحدوية في ديوان اللهب المقدس.....	**39**
مدخل.....	**42-40**
المبحث الأول: الوحدة الوطنية.....	**54-43**
المبحث الثاني: الوحدة المغاربية.....	**61-55**
المبحث الثالث: الوحدة العربية.....	**70-62**
خاتمة.....	**73-71**
قائمة المصادر والمراجع	
الملاحق	

ملخص الدراسة

يمثل مفدي كريا ظاهرة كبرى في حرة الشعر الجزائري الحديث ,فقد استقطب العديد من الباحثين فتناولوه من زوايا عديدة ومختلفة ,ورغم ذلك هذه الدراسات القيمة فان شعره متنوع الأغراض متدفق لا يتوقف ,يفتح آفاقا جديدة أمام الدارسين وقد تناولت هذه الدراسة النزعة الوحدوية في ديوان اللهب المقدس لمفدي زكريا وهذه الدراسة تأخذ أشعاره التي تبرز نضال الشاعر بعد اندلاع الثورة التحريرية الكبرى وتعلقه بالشمال الإفريقي في طل وحدة أراضيه وشعبه ولغته ودينه "عقيدة التوحيد".

وهذه الدراسة قسمت إلى ثلاثة فصول :فصل تمهيدي تضمن لمحة عن شعر الإصلاح والنضال والثورة ونبذة عن حياة الشاعر .أما الفصل الأول فتناولت فيه نشاط مفدي زكريا السياسي والفكري وشعره الثوري أما الفصل الثاني فخص للنزعة الوحدوية في ديوان اللهب المقدس .

هذه كانت دراستي للنزعة الوحدوية في اللهب المقدس لمفدي زكريا التي استطعت أن أسجل من خلالها وطنية وقومية الشاعر الذي كرس شعره للدفاع عن القضية الجزائرية والعربية ,والذي يبقى وثيقة للأجيال وحقائق للتاريخ .

وأسأل الله تعالى أن أكون قد وفقت في مسعاي ,ووفيت الدراسة حقها من الدرس والاهتمام.

Summary of the Study

Represents Moufdi ZaKriya phenomenon major free hair Algerian talk, it has attracted many researchers Vtnolt from many angles and different, though, so these studies value the hair varied purposes squirted does not stop, opens up new possibilities in front of scholars have addressed this study tendency unionist in the Office of the sacred flame to Moufdi Zakaria this study takes poems that highlight the struggle of the poet after the outbreak of the revolution editorial major African and attachment to the north in Tal and its territorial integrity and its people, language and religion "monotheism

This study is divided into three chapters: an introductory chapter included an overview of hair reform and the struggle and revolution and About the poet's life. The first chapter Vtnolt the Activity Moufdi Zakaria political, intellectual, and his hair Revolutionary The second chapter فخص the tendency unionist in the Office of the sacred flame.

This was my study of the unionist tendency in the sacred flame Moufdi Zakaria that I was able to register through which national and nationalist poet who has dedicated his poetry to defend the Algerian and Arab issue, which remains for generations to document and facts of history.

I ask God that I have hyped Msai, and Lovett right of the lesson study and attention.

Résumé de l'étude

Représente Moufdi ZaKriya phénomène majeur cheveux talk algérienne libre, il a attiré de nombreux chercheurs Vtnolt sous de nombreux angles et différentes, mais, si ces études valoriser les fins variées de cheveux giclé ne s'arrête pas, ouvre de nouvelles possibilités en face de chercheurs ont abordé cette étude tendance syndicaliste au sein du Bureau de la flamme sacrée à Moufdi Zakaria Cette étude prend poèmes qui mettent en lumière la lutte du poète après le déclenchement de la révolution éditoriale majeure africaine et l'attachement au nord de Tal et son intégrité ."territoriale et son peuple, langue et religion "monothéisme

Cette étude est divisée en trois chapitres: un chapitre d'introduction comprend un aperçu de la réforme des cheveux et de la lutte et de la révolution et de la vie de la poétesse La première Vtnolt chapitre de l'activité Moufdi Zakaria politique, intellectuel, et ses cheveux révolutionnaire Le deuxième chapitre le syndicaliste de tendance au sein du Bureau de la flamme فخص ..sacrée

Ce fut mon étude de la tendance syndicaliste dans la flamme sacrée Moufdi Zakaria que j'étais capable d'enregistrer à travers laquelle le poète national et nationaliste qui a consacré sa poésie pour défendre la cause algérienne et arabe, qui reste pour les .générations à documenter et faits de l'histoire

Je demande à Dieu que j'ai hype Msai et Lovett droite de l'étude de .leçon et d'attention

تم بحمد الله